الجزء الثاني السنة الاولى

الجامعة العثمانية

الله والوطن — الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية ادبية علمية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »
« جان جاك روسو »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »
« جول سيمون »

الاسكندرية في اول ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣١٦

باب المقالات

الامبراطور غليوم
(والجامعة العثمانية)
(والاسلامية)

روت بعض الجرائد السورية حين زيارة الامبراطور غليوم لدمشق الشام ان الامبراطور غداة المأدبة التي اقامها مجلسها البلدي لجلالته قد قال لفاضل مسيحي خطب في تلك المأدبة « ان خطابك بقي الليل كله يرنّ في اذنيّ »

ولما نقلت الجرائد المصرية عن رصيفاتها السورية هذه العبارة الامبراطورية « ان خطابك بقي الليل كله يرنّ في اذنيّ » اكبر العقلاء هذا الكلام واستغربوا صدوره عن امبراطور عظيم كغليوم الثاني الخطيب المصقع الذي اشتهر ببلاغته بين ملوك العالم وخطبائه . لكن اذا صحت الاقوال التي ترويها الآن جرائد برلين عن الشعور السياسي الذي وجده الامبراطور حين سياحته في الشرق وبالخصوص عند زيارته لبيروت ولدمشق الشام لم يبق محل لذلك الاستغراب ورجح ان الامبراطور قد قال تلك العبارة وانه اراد بها امراً سياسيا وتحرير الخبر كما ترويه تلك الجرائد ان الامبراطور كان في اثناء سياحته يراقب مراقبة شديدة ما بين العنصر المسلم والعنصر المسيحي في بلاد الدولة من العلائق والصلات الاجتماعية والودية . والذي حبب اليه هذه المراقبة وزاده رغبة فيها ما كان يقرؤه قبل سفره الى الشرق في الجرائد الاوروبية عن تنافر المسلمين والمسيحيين فيه فلم يأل جهداً في هذه المراقبة والملاحظة ما استطاع الى ذلك سبيلا رغبة في الوقوف على غث تلك الاقوال من سمينها ومعرفة صحيحها من فاسدها

على ان الامبراطور ما نهض عن مأدبة دمشق الشام التي القيت فيها تلك الخطب التي كُتبت في اجمل صفحة من صفحات تاريخ الدولة العثمانية حتى اصبح ذا رأي ثابت في الامر الذي تكلف مراقبته مراقبة شديدة كما قدّمنا . فانه ابصر حوله في تلك المأدبة رعية الدولة العثمانية بعنصريها المسلم والمسيحي كتفاً الى كتف ورأى خطيباً مسيحياً ينتصب لدى جلالته بجرأة عربية ويلقي على مسامعه ومسامع اخوانه المسلمين الحاضرين تلك المأدبة كلاماً كانت تتهلل له وجوههم فعرف الامبراطور اذ ذاك من نظره في وجه الخطيب ورؤيته اندفاعه وحدة نفسه وقوة نظره ان هذه

القوة والحدة. وذلك الاندفاع لا تنشأ في جسم ضُربت عليه المذلة والمسكنة فقال لوز ير خارجيته بعد خروجه من هذه المأدبة « ان المسيحيين في بلاد الدولة احسن حالاً من الايرلنديين في انكلترا . والمسلمين في الهند وروسيا . واليهود في الجزائر. واكثر ميلاً الى مسالمة اخوانهم المسلمين والمسلمون اكثر رغبة في مسالمتهم مما يصفهم به الواصفون »

وقد افتكر جلالته غير مرة في هذا الموضوع في تلك الليلة حتى اذا اصبح الصباح ووقع بصره على الخطيب الذي اثار فيه تلك الافكار قال له باسماً « ان خطابك بقي الليل كله يرنُّ في اذنيَّ » هذا هو السبب الذي حدا بالامبراطور أن يقول هذه العبارة اذا صح انه قالها .

ومهما يكن من الامر فان الامبراطور غليوم قد خرج من ارض الدولة وهو مقتنع بان سعادة الامة العثمانية وراحتها في شد اواخي الاتفاق والوداد بين عنصريها المسلم والمسيحي لتذهب بذلك حجة اوروبا في المداخلة بشؤون الدولة من حين الى حين وتنصرف هذه القوى المبذولة في الحذر والاتقاء الى ما فيه الخير العام والمنفعة العامة للعثمانيين جميعاً . هذا فيما يتعلق بداخلية الدولة . على انه شعر في دمشق بامر متعلق بخارجيتها وقال قولاً هناك متعلقاً بهذا الأمر سيبقى خالداً في تاريخ الدولة العثمانية

فقد أبصر جلالته في عاصمة الامويين تسابق السادة المسلمين من حوله الى اكرام ضيف مجلالة الخليفة الاعظم ونظر تهافتهم على تعظيم هذا الضيف تهافتاً اراه مبلغ ما في نفوسهم من التعلق بعرش الخلافة العظمى وسرّح طرفه في ملايين المسلمين المنتشرين في اقاصي البلدان البعيدة والقريبة في الشرق والغرب وتأمل ما بينهم و بين الاستانة من الروابط الدينية والصلات المعنوية القوية فادرك حينئذ ان الدولة في قبضتها من القوة المعنوية والفعلية ما لا يكاد يكون في قبضة دولة اخرى اوروبية وغير اوروبية . وكان الامبراطور قد وقف على اكثر ما كتبه كتاب الانكليز والفرنسويين والروسيين عما يسمونه «خطر الجامعة الاسلامية» و يعنون به تألف المسلمين في العالم واجتماع كلمتهم على ما ير يدونه من الخير لانفسهم فرأى بازاء ما وجده في دمشق من الحمية والحماسة ان اولئك الكتاب اصابوا في تخوّفهم تلك الجامعة التي تكون سدّاً قوياً دون اغراض دولهم كما ان

الدولة العثمانية قد اصابت ايضاً في اتخاذها الخلافة ردءاً لها تعضدها وتشد ازرها في ايام ضيقها . ولما كان الامبراطور غليوم رجلا شديد الانتهاز للفرص وملكا خبيرا بفن اثارة نفوس الامم واستمالتها اليه رأى ان مأدبة دمشق الشام خير فرصة تغتنم لاظهار ما في نفسه للدولة واكتساب ميل رعيتها وغير رعيتها من المسلمين فالقى في تلك المادبة خطبته الشهيرة التي جاء فيها قوله « ان الثلاثمائة مليون مسلم المنتشرين في جميع اقطار العالم والذين يربطهم رباط الخلافة باخي السلطان عبد الحميد الى الابد لهم ان يثقوا بي و يعتمدوا عليَّ »

على ان كثيرين من الذين سمعوا هذا الكلام في حينه ظنوهُ من باب التجمل والتلطف وفاتهم معناه السياسي الحقيقي . واذا اردت ان تعرف مبلغ ما كان لهذا الكلام من التاثير فاقرأ الجرائد الاوروبية التي صدرت في الاسبوع الذي القيت فيه هذه الخطبة . فانها جميعها ادركت ان الامبراطور اراد بذلك ان يحذّر اوروبا ويختم الجامعة الاسلامية او العصبية الاسلاميه كما يسميها الافرنج بختمه الامبراطوري لانهُ يرى لكل امة ودولة الحق في ان تدفع عن نفسها الشر وتدرأ الاذى بكل الوسائل التي في يدها وان تتمتع بنعمة الاستقلال وتعيش حرة مطلقة تحت قبة السماء

وقد وضع الامبراطور غليوم ختمه على الجامعة العثمانية كما وضعه على الجامعة الاسلامية . الاولى لسلامة الدولة في الداخل والثانية لسلامتها في الخارج . الاولى تجعلها جسما واحدا يحس بألم كل عضو من اعضائه . والثانية تقذف المهابة والسطوة في قلوب خصومها وتبعث كل عدو على الافتكار مليّاً قبل الاقدام على شر يريده بها .

ولا ريب في ان الامبراطور غليوم قد استفاد بذلك وافاد معاً . استفاد لانه استمال اليه والى دولته مسلمي الكرة الارضية كلها فاصبحوا يشكرون له عدله وانصافه بقدر ما يذمون باقي الدول لطمعها واعتدائها وليس قليلا صداقة ثلاثمائة مليون من المسلمين . وافاد لان « الجامعة الاسلامية » بانضمام الامبراطور غليوم اليها قد زال عنها ما كان يصمها به خصومها . فان الذين يرهبون هذه الجامعة و يذمونها لانهم يرهبونها يقولون انها ناشئة عن تعصب الدين الاسلامي على الدين المسيحي . ولكن الامبراطور غليوم الملك المسيحي الشديد التمسك

بمذهبه كما تدل على ذلك جميع اقواله واعماله قد أرى اوروبا بانضمامه الى هذه الجامعة انها ليست ناشئة عن التعصب والرغبة في العدوان ولكن عن حب وقاية النفس والدفاع عن الاوطان · فهي كالاوقيانوس العظيم اذا لم تثر امواجه زوابعُ الاطماع السياسية بقي مسالماً هادئاً ساكناً واذا عصفت به تلك الزوابع لم يأمن راكبه ان تبتلعه امواجه الهائلة ·

هذا وعندنا ان من يكتب في المستقبل تاريخ الدولة العثمانية كتابة منزهة عن الاغراض السياسية والمصالح الخصوصية سيقول في تاريخه ولا شك ان المانيا كانت بازاء دولتنا العلية اقرب الدول الاوروبية الى العدالة والانصاف فانها انحازت اليها في اصعب المواقف السياسية على حين ان اوروبا كلها اتحدت عليها · ولا ينقص من فضل انحياز المانيا هذا انها تتوقع من ورائه فائدة تجارية او صناعية اوسياسية فان رجاء الفائدة لا ينفي فضل المساعدة وقد اصبح النفع المتبادل في السياسة الدولية خطة مألوفة · فاذا كان الامبراطور غليوم صديقنا العظيم قد ساءه قيام اوروبا عليه قومة واحدة لسلوكه جادة العدل والانصاف في الانحياز الى الدولة العلية ضد خصومها الكثيرين — اذا كان صديقنا قد ساءه ذلك فحسبه جزاء على عدله شكر العثمانيين له في الحاضر وفي المستقبل وقول التاريخ عنه في القرون الآتية — « لقد حكم المانيا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ملك شاب كرهت نفسه الكبيرة العادلة ان تكون في جملة النسور الطامعة التي كانت تحوم بشراهة وجشع على بلاد الدولة العثمانية »



الانسان الطبيعي قبل الاجتماع — لاهم له غير دفع الحيوانات المفترسة عنه وطلب قوته البسيط وقوت امرأته التي الى جانبه . اما وطنه فالطبيعة الواسعة كما ترى بما فيها من الجبال والسهول والاحراش والاشجار.

(انظر الصفحة التالية)

الانسان

وما صنع التمدن به

سل ساكني القصور . وشاربي الخمور . ولابسي الاستبرق والديباج . وآكلي لحوم الضأن والدجاج . يفدون في اواخر الليل بعد حفلات الانس والرقص فيجدون الفراش ليناً مثنياً . فينامون فيه نوماً هنيئاً . وينهضون بعد شروق الشمس بساعات . الى اغتنام المسرات والملذات .

سل ساحبات ذيول التيه والفخار . بما اوتين من بهاء يخجل بهاء الاقمار . وغنات اصوات اوقع في النفوس من نغمات الاوتار وغناء الاطيار . ومن كل من خطرات النسيم تجرح خديها ولمس الحرير يدمي منها البنان والاظفار .

سلهم جميعاً أعرفوا من في هذا الرسم الموضوع فوق هذه السطور ؟ . على انهم اذا عرفوه فانما يعرفونه بالظن والتخمين لا بالادراك واليقين . فقد انقضت عليهم مئات قرون وهم مفارقون هذه الحالة التي نراه فيها فنفضوا عنهم في خلال هذه القرون الطوال كل ما كان عليهم من الآثار الفطرية واقاموا بينهم وبين الطبيعة سدوداً قوية حولت احوالهم وقلبت قلوبهم وابعدتهم عن فطرتهم الاصلية بعداً قصياً حتى اصبحوا اذا ابصروا الانسان الطبيعي ظنوه وحشاً لا انساناً طبيعياً .

في هذا الرسم الذي اشرنا اليه رجل على الفطرة الاصلية جسمه مكسو بالشعر الطويل عارٍ عن كل لباس الا غطاء من جلد الحيوان موضوع على منكبيه . والى جانبه امرأته جالسة على الارض وهي تنظر الى حيث ينظر رجلها كانهما يتوقعان امراً .

انظري ايتها السيدة المتمدنة الى اختك بنت حواء هذه الجالسة بازاء رجلها في اعالي الجبال . اترين في اذنيها القراطك الماسية . وفي معصميها اساورك الذهبية . وعلى رأسها قبعتك الاطلسية . وفي خصرها مشدك الذي يشد روحك اللطيفة في جسمك النحيف . وفي قدميها نعليك الضيقتين العاليتين . وعلى جسمها ثوبك الحريري القصير من هنا الطويل من هناك الواسع من هذه الجهة الضيق من ذلك الجانب الطويل الذيل الذي يغني البلدية عن الكناسين . . . لا لان اختك هذه المسكينة لا تملك شيئاً من خزعبلات المدنية وادواتها . فانها على الفطرة الطبيعية فراشها الارض وغطاؤها السماء وقاعتها كهف في اعالي الجبال او مغارة في بطن الغاب وزينتها جلد حيوان يكسو جسمها او بعضه كما يصنع رجلها وقوتها اثمار الاحراش واذا لم تجدها فلحم الحيوان التي تصطاده بنفسها او يصطاده لها رجلها .

وانت ايها الرجل المتمدن أنظرت على راس اخيك الانسان الطبيعي طربوشك اوقبعتك . وحول عنقه قميصك المكوية الناصعة البياض وفيها وبطنها الحريرية اللطيفة . وفي قدميه نعليك اللتين توسع ماسحها سباً اذا لم تخرجا من يديه لامعتين كما تريد . . . وهل رأيته يستر جسمه بهذه الملابس الثخينة التي تستر بها جسمك ويأكل على بساط الطبيعة مائدته الطبيعية الالوان المختلفة التي تأكلها على مائدتك . انت لا يكفيك لون واحد من الطعام ونوع واحد من الشراب . وهو راضٍ مكتفٍ بقشور اثمار الغاب اذا فاته اللباب . انت حولك جدران المنازل وستائر القاعات وكلل الاسرة تقيك قيظ الصيف وقرّ الشتاء . وهو لا فراش له غير الغبراء ولا غطاء غير السماء . ومع ذلك فايكما اسعد حالاً . انت ايها الرجل المتمدن ام اخوك الرجل الطبيعي . انتِ ايتها المرأة المتمدنة ام اختك المرأة الطبيعية .

وُجدنا هنا بازاء مسألة من اهم المسائل الفلسفية والاجتماعية وهي — هل كان في تمدن الانسان زيادة راحته او زيادة تعبه ؟ فقد اصبح معلوماً ان البشر في اوائل العمران كانوا منتشرين افراداً وازواجاً على ضفات الانهار وفي الغابات والجبال يعيشون عيشاً طبيعياً اي في الحالة التي يراها القراء في الرسم المذكور آنفاً . ثم ان حاجاتهم الطبيعية والطوارئ الخارجية اضطرتهم الى الاجتماع والتعاون على المعيشة فتألفت العائلة ومنها تألفت القبيلة ثم الامة ثم الدولة وبذلك تم عمران الارض بعد ان كانت خراباً واصبحت مأهولة بعد ان كانت قفراً يباباً . فهل ان البشر الآن بعد هذا العمران انعم بالاً مما كانوا قبله ؟ وهل ان آيات التمدن الساطعة ومكتشفاته الباهرة اصلحت اخلاقهم ام افسدتها ؟ وهل لم يكن في الامكان احسن مما كان ؟

مسائل نجيب عليها بما امكن من الايجاز مراعاة لضيق المقام .

من مبادئ الاجتماع ان متاعب الانسان تزيد بزيادة حاجاته ولما كانت حاجاته تزيد بزيادة تقدمه في المدنية كان لا بد من زيادة متاعبه . فهذا الانسان الطبيعي لا يزرع

ولا يحرث ولا يهتم للغد اذا جاع مدَّ يدهُ الى الاشجار او الحيوانات التي تصل اليها يدهُ فأخذ منها وأكل واذا نعس وضع فأسه من يدهِ ونام حيث كان سواء في عرض البر او في قمم الجبال او في بطون الاحراش · فكل متاعبه مقصورة اذاً على وقاية نفسه من شر الحيوانات الكاسرة وعلى تحصيل قليل من الاثمار او شيءٍ من لحم الحيوان يمسك بهِ رمقهُ · اما الانسان المتمدن فاحصِ ممناعدد المتاعب التي عليه معاناتها. عليه اولاً منازعة رفاقه البقاء وتحصيل معيشته تحصيلاً جعله التمدن من اصعب الامور في هذا الزمان · ثم انهُ ما عدا محاربة ابناء جنسه لتحصيل قوته عليه محاربة العناصر الطبيعية واتقاء شرها واجتلاب خيرها · فانه يخاف الروماتزم على جسمه من اخف نسمات الهواء · ويخشى وقوع اشعة الشمس على رأسه لئلاّ تضربهُ ضربة قاضية · ويخاف الغرق على مزروعاته اذا كثر المطر ويخاف عليها الحرق اذا انحبس عنها · عليه مداراة الناس في السوق وعائلته في البيت واصدقائه كل سهم في نوبته والسهر على نفسهِ وعلى اشغاله وعلى ذويه بازاء باقي الناس سهراً يفني جميع قواهُ وجميع اوقاته فلا يجن الليل ويأتي فراشه حتى ينطرح عليه خائر القوى فاقد العزم من اتعاب نهاره · هذا بيان معيشته اليومية نزاع وصراع وهمٌّ في خارج المنزل وغمٌّ في داخله · وفضلاً عن ذلك فراحة الانسان اشد ما تكون متوقفة على صحته وسلامة جسمه · وسلامة الجسم آخذة في البعد عن الانسان بنسبة بعده عن فطرته · فان هذه الملاهي التي يهرقون فيها ماء حياتهم ولا يشعرون · والاطعمة والاشربة التي يقتلون بها اجسادهم · والملابس الضيقة التي يضعفون بها دماءهم · والرذائل الصغيرة كالحسد والبغض والطمع التي تذيب لحمانهم والكبيرة التي تقتل عقولهم وابدانهم وآدابهم — كل هذه القبائح التي ولدها التمدن الحاضر لا تبقي لجسم الانسان سلامة ولا تدع له صحة · واصابة الانسان بصحته اصابته بصميم راحته وسعادته من اجل ذلك فالانسان الطبيعي اكثر راحة من الانسان الاجتماعي

هذا من وجه الراحة البدنية والعقلية · اما من وجه فساد الاخلاق البشرية او صلاحها بالتمدن فالمجال متسع للبحث والتدقيق ·

يرى كثيرون من الفلاسفة وعلماء الاخلاق ان التمدن كان باعثاً على افساد اخلاق الانسان لا على اصلاحها · وحجتهم في هذا ان التمدن يزيد حاجات الانسان كما قدمنا · وزيادة حاجات الانسان تقتضي تنبه حواسه وقواهُ الى قضائها ونيل الضروري وغير الضروري منها · وهكذا نرى الغش والخداع والطمع والجرائم والرذائل تزداد في العالم بازدياد الثروة وتتقدم بتقدم المدنية · وقد سمى العلماء القرن التاسع عشر القرن الحديدي لكثرة اختراعاته واكتشافاته على انهم لو انصفوا لسموهُ القرن المادي لان المادة اصبحت فيهِ معبوداً ثانياً وربًّا ثانياً · لقد اصبح الانسان في هذا الزمان يتخذ من جثث اخوانه مراقي الى اغراضه ومصالحه · لقد قسمت المكاسب المادية اعضاء العائلة على بعضهم البعض فصار الواحد يمزق الثاني تمزيقاً



المرأة المتمدنة في القرن التاسع عشر — همها التزين والتحلي انظر اليها راجعة من حانوت الصائغ تتأمل في حلية ابتاعتها منه. لا ريب انه يحلو للقارئ ان يقابل من كل الوجوه بينها وبين اختها المرأة الطبيعية في الرسم الاول.

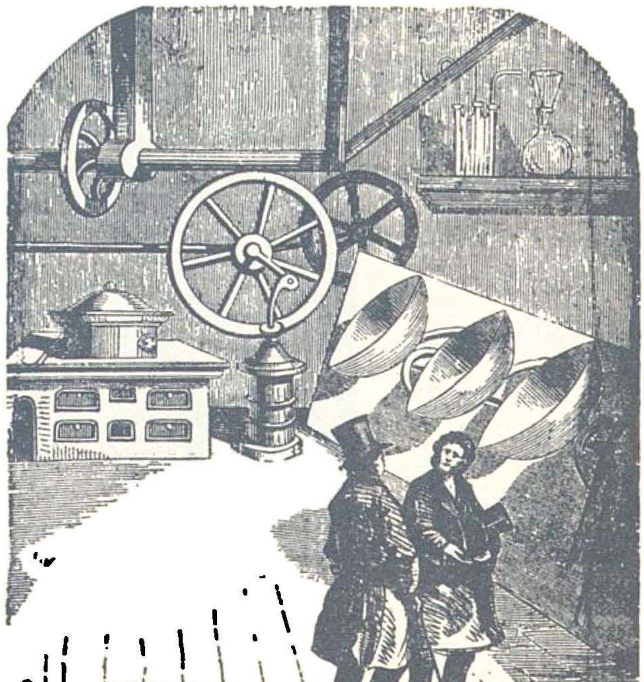
ويدوسه تحت اقدامه دوساً توصلاً الى ربح يرجوه من وراء عمله غير ذاكر ان لهذه السكرة صحوة ولهذا الظلام فجرًا وان وراء المادة قوة فوق المادة · وكل ذلك من نتائج المدنية والعمران · فما أحسن تلك البساطة الطبيعية بل ما احسن تلك الخشونة الفطرية التي نراها في الانسان الفطري في هذا الرسم بازاء ما في العالم المتمدن الآن من الفوضى الادبية

وهل كان في الامكان ابدع مما كان ؟ مسألة تحار فيها بعض الاذهان · فاذا قال الانسان ان ذلك كان في الامكان اعتُد قوله هذا كفرًا لانه يستوجب ان يكون العالم قد خرج عن الدائرة الابدية العظمى التي رسمتها له اليد الابدية الازلية من غير ان تقوى هذه اليد على ادخاله فيها وحينئذ لا تكون هذه اليد (والعياذ بالله) الا يدًا وهمية · واذا قال ان ذلك لم يكن في الامكان عزا النقص الى الكمال والضعف الى القوة والحد الى من لاحد ولا بداية ولا نهاية له تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا ·

والحقيقة في كل هذا ان الخالق سبحانه وتعالى قد وضع لهذا الكون سننًا وشرائع يسير بموجبها نحو الكمال المطلق والخير الاعظم · وقد كان شروع الانسان بالتعاون والاجتماع بداية التدرج والسير طبقاً لتلك الشرائع الالهية · امس كان الانسان بلّوطة صغيرة ملقاة في الارض الواسعة فاصبح اليوم شجرة عظيمة تأوي اليها الاطيار ويستظل بها ابناء السبيل · واذا كانت الافاعي قد اتخذت لها مقاماً في هذه الشجرة والسوس والحشرات المؤذية قد علقت بها تنخر لبها وتاكل اوراقها فسياتي يوم تخلص فيه هذه الشجرة من جميع آفاتها وتعطي ثمرًا يليق بالبستاني الذي سهر عليها ·

وهذه الشجرة هي الانسانية والبستاني هو اليد المبدعة التي تدبر سكانها الآن · وما هذه الآفات التي تاكل باطن العالم اليوم كالرذائل والجرائم والشقاء العظيم — ما هذه كلها الا اعراض تنفضها الانسانية عنها شيئاً فشيئاً كلما تقدمت من فجر النور وحد الكمال الموضوع امامها في الافق البعيد · فثبتي خطاك يا امنا وامشي الى غرضك ساكنة الجأش ولا تخافي فان يد القادر تعضدك ويمينه القوية تأخذ بيمينك

ولكن انظري وراءك من حين الى حين واذكري هذه البذرة الصغيرة التي منها خرجتِ فانه قد يكون في ذكرك لها فائدة لنا ولك · واجتهدي ان تقتدي بها من حيث بساطة المعيشة وسذاجة القلب ما استطعت الى ذلك سبيلا فانك قد تكتفين بذلك كثيرا من مصائبك وشرورك



الرجل المتمدن في معمله في القرن التاسع عشر عصر الصناعة والاختراع · كم من المراحل قد قطع الانسان متدرجاً من الحالة الفطرية حتى وصل الى حالة العمران الحاضر

ولكن هل ارتقت آدابه بنسبة ارتقائه · وهل ان رأس هذا الرجل المتمدن المكشوف امامنا الآن لا يحمل من الشر اكثر مما يحمله رأس الانسان الفطري في الرسم الاول ·

التربية والتعليم

فتحنا هذا الباب للامهات والاساتذة والمعلمين في الشرق لنسهل لهم مبادلة الآراء فيه والمباحثة في مسائل التربية والتعليم فان البحث فيهما من اهم ما يحتاج اليه الشرق الآن

حاجتنا الكبرى

قلنا في هذا الباب من الجزء السابق انه يجب الدعوة الى اصلاح التربية المدرسية والتربية العائلية قبل الدعوة الى انشاء مدارس جديدة والا لم تغن المدارس الجديدة فتيلا ولم تجدِ ابناءنا نفعاً. وقد جعلنا معظم الكلام في ما مرَّ مسوقاً الى اخواننا العثمانيين المقيمين في بلاد الدولة العثمانية ولكن ما يقال لاخواننا العثمانيين يصح ان يقال لاخواننا المصريين ايضاً.

وقد بينا اصلاح التربية المدرسية في الجزء الماضي على حسن اختيار المعلمين والتوسيع عليهم ليتقدم الى هذا الفن الشريف من كان قادرا على الافادة فيه. هذه هي المرحلة الاولى. ومتى اعطي القوس باريها ودخل المدارس الابتدائية لتربية النسل فيها اولئك الافاضل الذين تبعدهم عنها قلة الرواتب وشبه احتقار عند الشرقيين لهذا الفن الشريف الذي نسميه فن افلاطون وارسطو وصلنا بالمدارس حينئذ الى المرحلة الثانية وهي اصلاح تربيتها وتعليمها اصلاحاً يجعلها بمنزلة قوالب ذهبية من الامة تُفرغ فيها عقول ابنائها ونفوسهم فتخرج منها متحلية بكل الفضائل والمعارف التي يجب التحلي بها.

واذا طُلب الينا ان نضع الحجر الاول في اساس هذا الاصلاح العظيم الواجب ادخاله في جميع مدارس الشراق قسمناه الى اربعة اقسام اولها

تعليمٌ منطبق على حاجات الامة

ومهما بالغنا في وصف اهمية هذا الامر ووجوبه لهيئتنا الشرقية فاننا نجد قلمنا قاصرًا عن توفيته حقه. ولو علمت البلاد الشرقية ان معظم الفقر السائد فيها والشقاء المستحوذ على اهلها واكثر الرذائل التي اتخذتها مقعداً ومركباً — لو علمت ان هذه كلها او جلها ناشئة عن عدم انطباق التعليم في المدارس على حاجات المتعلمين من ابناء الامة لما قعدت ساعة واحدة عن قلب نظام تلك المدارس وجعله كما يجب ان يكون. انظر الى تلك المدارس تجدها كلها او جلها تنسج على منوال واحد في التعليم. فانك لا تسمع فيها غير ذكر الصرف والنحو والبيان والفلسفة والهندسة والطبيعيات واللغة الفرنسوية والانكليزية واللاتينية وغيرها. يدخل اليها الطالب فتتعلق به ولا تفلته حتى تحشو ذاكرته بمبادئ هذه العلوم غير مراعية قواه العقلية وخصوصاً حالته الاقتصادية. اذا كان ابن امير او رجل كبير علموه الفلسفة والهندسة والفرنسوية والانكليزية. واذا كان ابن قروي او ابن حمَّال علموه ايضاً الفلسفة والهندسة والفرنسوية والانكليزية. اذا كان ذا استعداد طبيعي ومواهب عقلية علموه هذه العلوم واذا كان بليدا قاصرا جاهلا حمَّلوا ذاكرته ما استطاعت ان تحمله منها ايضاً. ويا ليت هذا الغني والفقير. والحاذق والخامل. يأخذون من هذه العلوم ما يستطيعون ان يسهلوا به لانفسهم سبل الحياة وبعبارة اوضح ان يحصلوا خبزهم بعلمهم وعملهم ويكتفوا بذلك عار الطلب للمعيشة وذل الالتماس لقضاء الحياة. انهم لو قدروا على ذلك بما يتعلمونه في تلك المدارس لبخرناها في الغدو والآصال وسبحنا بحمدها في كل حال. ولكنهم من سوء حظها وحظهم لا يخرجون منها الا ليكونوا حملا ثقيلا على عاتق اهلهم. فان المعارف «السطحية» التي يتلقنونها في تلك المدارس لا تغني عنهم في جهاد الحياة فتيلا ولا يقدرون ان يخطوا معها خطوة واحدة في سبيل تحصيل معيشتهم اللهم الا اذا كان هنالك اهل يعضدون. واقرباء يدرّبون.

لذلك نراهم يخرجون من المدارس حيارى لا يدرون ماذا يصنعون ولا اي باب يقرعون. يحتقرون الصنائع اليدوية لان المدارس في رأيهم رفعتهم عنها وان كانت مهنَ آبائهم واجدادهم وتقصر ايديهم عن ان تنال ما تريد ان تناله من المهن التي يسمونها «شريفة» فيسقطون حينئذٍ في هاوية تسمى هاوية البطالة وهي ام الرذائل ومجلبة الفقر والشقاء ومدعاة الخراب ومفنية قوى الامة لانها تفنى شباب شبانها وتذهب بقوامهم هباء منثوراً.

وقد اصبح الناس اذا أرادوا مثلاً لهذا الامر الذي نحن

في صددهِ طلبوا هذا المثل في تلك الالوف المؤلفة التي تخرج في كل سنة من مدارس سوريا لتسقط في هذه الهاوية هاوية البطالة المخيفة . اما نحن فعندنا ان كل المدارس الشرقية تخرج تلامذتها لتلقيهم في تلك الهاوية . ولا نستثني من هذه المدارس الا التي وضعت بازاء تعليمها العلمي تعليماً عملياً اي تعليماً فنياً او صناعياً او زراعياً .

فحاجتنا في هذا الشأن ان نجعل التعليم في مدارسنا منطبقاً على حاجات البلاد والامة . فاذا كانت الامة زراعية وضعنا بازاء التعليم العلمي اي تعليم اللغات والطبيعيات وغيرها تعليماً زراعياً واذا كانت الامة صناعية وضعنا بازاء التعليم العلمي تعليماً صناعياً . اما اذا ضربنا عن هذا الامر المهم صفحاً وبقينا على ما نحن فيه من اهماله واغفاله فلا سبيل الى انقاص جيش البطالين الذين افسدت البطالة اخلاقهم فجعلتهم حملاً ثقيلاً على الهيئة الاجتماعية وعلى اهلهم وصيرت الهيئة الاجتماعية في خوف دائم من ان يسري اليها فسادهم .

ادخل ملاعب القمار تجد اولئك البطالين في مقدمة اللاعبين . انظر في اماكن الفساد والشقاء تجدهم في طليعة الداخلين . ادعُ الناس الى عمل وطني او خيري تجدهم في مؤخرة المجيبين ان لم يكونوا مثبطين ومفسدين . تكلم امامهم عن الله والفضيلة والوطن فلا تجدهم الا ضاحكين مستهزئين . هؤلاء هم ابناؤك ايتها المدارس الشرقية . هؤلاء هم فلذات اكبادنا التي استودعناك نفوسهم فأفسدتِ صلاحها وقذفت بها الى تلك الهاوية .

فالواجب الآن رتق الفتق واصلاح الفساد و بناء المهدوم ولا سبيل الى ذلك الا بتربية الجيل الناشئ تربية جديدة وتعليمه تعليماً منطبقاً على حاجاته واحواله الاقتصادية .

على انهُ لا يفيدنا شيئاً ان نعلمهُ تعليماً منطبقاً على حاجاته ونبقيه بهذه الجبانة والضعف اللذين نراهما فيه . فمن الواجب اذاً ان نبثَّ في نفوس ابنائه روح

الاقدام

لتكون لهُ الرجولية الحقة وليتسنى لهُ بهذه الفضيلة العظيمة ان ينتفع بالعلم والعمل اللذين يأخذهما في المدرسة . ومتى منحناه فضيلة العلم المنطبق على حاجاته وفضيلة الاقدام التي تمهد لهُ سبل الحياة وتكسبه رزقهُ في زحام العالم الشديد بقي علينا ان نغرس فيه اصول فضيلة اخرى لا تنقص عظمةً عن فضيلة الاقدام وهي فضيلة

الاقتصاد

فانها حافظة لذلك الكسب ان يتبدَّد وواقية ثروته الصغيرة والكبيرة من النفاد والفناء . واننا لا نرى تعليماً اشد ضرورة للشرقيين من تعليمهم الاقتصاد وترك التبذير والاسراف الا تعليم الادب الصحيح

والفضيلة

فان تعليمها يجب ان يكون رابعة القواعد الواجب وضعها اسساً لاصلاح التربية المدرسية .

هذه هي حاجتنا الكبرى واجزاؤها الاربعة . الاول جعل التعليم في المدرسة منطبقاً على حاجات الطلبة وحاجات بلادهم . الثاني بث روح **الاقدام** في نفوس الطلبة . الثالث تلقينهم اصول **الاقتصاد** حتى يبطلوا سفههم وتبذيرهم اللذين كثيراً ما كانا سبباً في هلاك كثيرين منهم . الرابع غرس اصول **الفضيلة** في نفوسهم . وسيرد الكلام بالتفصيل بعد هذا الاجمال والله المستعان

الشعور الجديد

حلية البنت الأدب

نقتطف من قصيدة ادبية فكاهية نشرها بهذا العنوان في كراس صغير حضرة حسني افندي العامري بالسويس بعض ابيات دلالة على الشعور الجديد الشريف الذي دبَّ في النفوس في مصر بشأن التربية والتعليم . وقد آلت الجامعة على نفسها ان تكون صدى كل صوت يرتفع للنداء بهذا الشأن . وهذه هي الابيات نوردها على سبيل الفكاهة كما اراد بها ناظمها

زينةُ البنتِ الادبْ ... لا بحسنٍ وذهبْ
كلُّ حسنٍ ذاهبٌ ... مثل تذهيبِ اللببْ
كلهُ شيءٌ عرضْ ... لا يؤدي للغرضْ
فاتركي هذا المرضْ ... واحفظي مني الادبْ

الى ان قال

كوني طوعَ الوالدينْ ... والمعلم والقرينْ
واكرمي اهلكِ اجمعينْ ... ثم جيرانَ الجنبْ
واصدقي فالكذبُ عارْ ... يورث الوجهَ اصفرارْ
واشهدي الحقَّ جهارْ ... تأمني شرَّ العطبْ

لا تصيحي في الجنازه ليس للنوح ِ اجازهْ
انْ منْ تفعلُ هـذا خالفتْ نصَّ الادبْ
انْ أتاكِ زائرينْ فاكرميهمْ أجمعينْ
انْ تريهمْ كاملينْ ردُّ زورتهم وجبْ
والزيـارة شرطها يسمحُ الزوجُ بهـا
ثم راعـي وقتها ولكنْ بعدَ الطلب
انْ دعوك للطعامْ فاحذري نهشَ العظامْ
واسبقيهم في القيام لا تبـالي بالعتب
ليس من حسن الخلال نبش انفكْ والنفال
سيما بين الرجال فاحذري هذا السبب
رتبي أشغالَ داركْ واكتبي صرف نهاركْ
واعدلي بين صغاركْ وارشديهم للادب
عليهم في الصغر مـا بـه الله امر
والنبي طـه القمر ذا عليك قد وجب
يا ابنة القوم الكرام هاك درسي بالـتمام
فاحفظيـه باحترام تبلغي أعلى الرتب
احفظيـه واتبعيـه واجعلي طفلكْ يعيه
بل ومنـه رضعيه كي يغذَّى بالادب

وفي ذيل هذه القصيدة الفكاهية نشيد ذو دورين اولهما هـذه الابيات

سيما العلم على الاوطان تنمي قوات السلطان
لذا سـعى مليكنا وقصده تعليمنـا
يعيش خديوي عباس

المراة والعائلة

ننشر في هذا الباب ما يهم المرأة والعائلة من المباحث الاديـة والبيتية والتهذيبية وما يردنا من اقلام الاديبات اللواتي تنبهن الى وجوب تحسين حالة المرأة والعائلة في الشرق .

الملاك والشيطان

جاء في بعض الامثال اذا أردت ان تعطي الخيل فصلِّ مرةً واذا أردت ركوب البحر فصلِّ مرتين واذا أردت ان تتزوج فصلِّ . . . ثلاث مرات .

وقد أراد واضع هذا المثل ان يعبر به عن شدة الخطر الادبي الذي يتعرض له كل طالب للزواج حين عزمه على اخذ شريكة له في حياته تقاسمه السراء والضراء .

وما اوردنا هذا المثل للبحث في ما اراد به واضعه ولكن للاستشهاد على اهمية المرأة في الهيئة الاجتماعية . فان في قبضتها سعادة الرجل او شقاءه . سعادته اذا كانت تعرف واجباتها وتبذل كل ما اعطاها الله من القوة في اتمام هذه الواجبات . وشقاءه اذا كانت لا ترى عليها من واجب غير ما تزينه لها اهواؤها واميالها للملاهي والتزين واغتنام الملذات . على ان المنزل في الحالة الاولى نعيم وفي الثانية جحيم . والمرأة في الحالة الاولى ملاك وفي الثانية شيطان رجيم .

فوصية واضع ذلك المثل لكل مقدم على الزواج ان يصلي ثلاثاً في باطنه قائلاً — اللهم اكفني شر الشيطان الرجيم وهبني من نعمك الملاك الكريم

على ان هذا الطالب لو انصف وتروى في الامر لخجل من نفسه عند دعوته هذه . فان هذه الدعوة اذا تضمنت طلب الخير لنفسه فانها تتضمن طلب الشر لغيره لان الله تعالى اذا استجاب لكل طالب فاعطاه ملاكاً كريماً وبكلمة اوضح زوجة صالحة فاين نذهب بالزوجات الشريرات ? ولو علم هذا الطالب انه هو مصدر هذا الشر الذي يدعو الله ان يدفعه عنه لازداد خجلاً على خجل من شر تصنعه يداه . ثم يعزوه الى سواه .

ذلك ان الرجال انفسهم هم المسئولون امام الله وامام الانسانية عما يرونه من الفساد في تربية النساء في الشرق .

واننا نرى مثلهم ان حالة المرأة والعائلة فيه مما لا يصبر عليه ولا يطاق ولكن فليلوموا انفسهم قبل ان يلوموا نساءهم . لماذا لا يربونهم كما يريدون . لماذا لا يرفعون هذه الجواهر من حمأة الجهل والغباوة ويضعونها في مرتبتها السامية حتى تشرف منها عليهم وتنيرهم بنورها الساطع الجميل . أيبقون على معاملة النساء معاملة الانعام السائمة من غير ان يبذلوا في تعليمهن وتربيتهن بعض ما يبذلونه من العناية بتعليم الرجال وتربيتهم ثم يريدون ان تكون النساء كلها ملائكة وقديسات . المرأة مرآتك

الحقيقية ايها الانسان فاذا اصلحتها كانت ملاكاً واذا افسدتها كانت شيطاناً .

فاذا أردت يوماً ان تختار لنفسك شريكة في هذه الحياة فلا بأس ان تصلي كما قال صاحب المثل . ولكن لا تقل في صلاتك . اعطنا الصالحة وابعد عنا الشريرة . بل قل اعطنا الصالحة لتصلحنا او الشريرة لنصلحها . واذكر دائماً قول القائل رحمه الله .

حسب المرأة قوم آفةً	من يدانيها من الناس هلك
ورآها غيرهم امنيةً	ملك النعمة فيها من ملك
انما المرأة مرآة بها	كل ما تنظره منك ولك
فهي شيطانٌ اذا افسدتها	واذا اصلحتها فهي ملك

تنبيه — اذا أردت ان ترى المرأة شيطاناً رجيماً فاقرأ رواية « البرج المائل » بقلم منشىء هذه المجلة وهي رواية تمثيلية تاريخية ادبية غرامية يمثلها الان ارقى الاجواق العربية في مصر ثمنها خمسة غروش صاغ ولك ان تستردها وترد الرواية بعد قراءتها اذا لم تكن عنها راضياً .

واذا اردت ان ترى المرأة ملاكاً سماوياً كريماً فاقرأ رواية « الحب حتى الموت » التي ننشرها ذيلاً للمجلة ولكن كن ذا صبر حتى تقطع المراحل الاولى اذا كنت ممن لا تروقهم المباحث الفلسفية فتصل حينئذ الى الموضوع الذي كتبت هذه الرواية من أجله .

ولكن اما ظلمنا الرجال

اذا كنا قد القينا على الرجال مسئولية جهل النساء وتركهنّ في هذه الحالة التعيسة التي نراهنّ فيها في بلاد الشرق فاننا لا نبرّئ النساء من المسئولية . نعم ان في الشرق طبقات من النساء غارقات في بحر من الجهالة والغباوة والشقاء غرقاً يفقدهنّ كل شعور بما هنّ فيه من سوء الحال فلا يجدنّ دافعاً الى الارتقاء ولا يشعرن بان لهنّ وجوداً ذاتياً وعليهنّ واجبات سامية وهؤلاء وا اسفاه اشدّ النساء عذراً ورجالهن اكثر الرجال ذنباً . الا ان في كل شجرة فروعاً دانية وفروعاً عالية وفي كل امة طبقات في اعلى السلم وطبقات في اسفلها . واذا كان نساء الطبقات الواطئة تفني خدمة المنزل قواهنّ وتفقدهن سلطة الزوج الشعور بالحياة الحقيقية فلأن في نساء الطبقات العالية من يصح ان يقال فيهن انهن خلعنَ نير الرجل عن اعناقهن ان لم نقل وضعنَ نيرهن على عنقه فهؤلاء النساء لا عذر لهن في البقاء في الجهل القديم وابقاء بناتهن في الغباوة القديمة .

وبعبارة اوضح ان المرأة في الطبقات السفلى في الشرق محكومة فاذا لم تربَّ ولم تهذَّب وقعت المسئولية على رجلها ولكنها في الطبقات العليا قد اصبحت حاكمة فما الذي يحول بينها وبين التمدن الصحيح والتربية الصحيحة .

وا أسفاه على تلك القوى العظيمة الذاهبة سدى بلا جدوى ولا فائدة . لقد انقضت الاجيال على المرأة الشرقية حتى بلغت هذه الدرجة التي بلغتها من الاستقلال عن رجلها واخضاعه لحكمها . لقد عانت منهُ في الاجيال الماضية ما لا يطاق ولا يحتمل . لقد بللت الدموع كل خطوة خطتها في سبيل هذا الاستقلال وكثيرات لخشونة رجالهن وفظاظتهم قد سقينها بالدماء . ومع ذلك ماذا صنعنَ بتلك القوة التي قمعن بها قوة الرجال ولطفن خشونتهم واسقطنَ بها سلطتهم ? لقد اصبحن ينفقنَ منها سدى بلا فائدة ولا جدوى كما قدمنا . وبدلاً من ان يحللن بها لدى ازواجهن ولدى الناس المنزلة الادبية السامية اللواتي خلقنَ لانشائها من مثل النهوض الى تعليم بناتهن وتربيتهن والقيام بدعوة عامة الى هذا الامر الشريف . ومثل ترك العادات السخيفة التي يكون فيها على مركزهن وآدابهن تأثير سيء واقتباس العادات الحميدة النافعة . ومثل قيامهن رقيبات على الآداب العامة . ومحكمات في مسائل الذوق . وحاميات ومحسنات للضعفاء . ومخففات بابتساماتهن السماوية وانظارهن السحرية متاعب المتعوبين والمجهودين في هذه الحياة — بدلاً من ان يحللن هذه المنزلة الادبية السامية ويصرفنَ قواهن في اتمام هذه الواجبات الادبية المقدسة زيادة في اعلاء شأنهن واتقاء للسقوط بعد الصعود او الرجوع الى العبودية والقيود قد أخذن وا أسفاه ينقضن بايديهن ما قضينَ في بنائه الاجيال الطوال فلم يعد لهن همٌّ الا اقامة الملاهي واغتنام الملذات والاسترسال في التحلي والتزين استرسالاً يفني ما لديهن من الوقت والمال معاً حتى لم يبقَ للادب والفضيلة والعلم والواجبات البيتية والزوجية من لذة تستميلهن بازاء تلك الملذات الدنيوية التي تشبه القبور المكلسة بيضاء في الظاهر ولكنها في الباطن جيف منتنة .

فاي ذنب هنا للرجال فيما يصنعهُ النساء . لا ريب في ان

معظم الذنب في هذه الحال التعيسة للنساء ومن النساء يطلب اصلاحها لان في هذا الاصلاح مصلحتهن ومصلحة العائلة ·

على ان هنالك اصلاحاً آخر يطلب من الرجال وهو اصلاح التربية المدرسية في مدارس الاناث كما طلبنا منهم اصلاحها في مدارس الذكور · وقد ضاق معنا اليوم نطاق المجلة فلنترك الكلام على ذلك الى الجزء التالي ·

اقتراح

طُلب الينا ان نلقي على القراء والقارئات هذا السوآل

«هل ان التعليم يجعل البنات اقوى فضيلة وأحسن اخلاقاً واكثر راحة مما كنَّ قبل التعليم اومما لو كنَّ غير متعلمـات»

الاَّ اننا نشترط انلا يتجاوز الجواب عشرين سطرًا ولا نكلف الكاتبة او الكاتب ذكر اسمه وننشر كل ما يردنا من الآراء بهذا الشأن في العدد القادم والذي يليه لا غير ونمنح اجزاء السنة الاولى من مجلتنا بلا عوض للسيدة التي تكون أحسن جواباً ·

باب الشعر والانشاء

ننشر في هذا الباب قصائد وشذرات بمواضيع مختلفة لشعراء وكتاب من المتقدمين والمتأخرين تكون قدوة للكتاب والشعراء ويكون فيها فائدة ولذة للقراء

احمد بك شوقي

شـاعر العصر

تتيه مصر عجباً على الشام بل على جميع بلاد الناطقين بالضاد بشاعر كبير يكفي في تسميتهِ ان نقول شاعر العصر · او بلبل القطر ·

ولكن اين غناء البلابل في الرياض من غناء احمد بك شوقي في وادي النيل · فان البلابل في الروض اذا غنت قد لا تنصت لها جميع طيور الروض اما احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية الفخيمة اعزها الله فانهُ لا يخرج صوتهُ الصدَّاح حتى ينصت له الشحرور والزرزور وباقي الطيور وتتخاطف الوف الايدي الحروفَ التي توصل صوته الى الاسماع · ولا عجب في ذلك فان شعراء الملوك ملوك الشعراء ·

وقد رأينا ان ننشر اليوم شيئاً من شعرهِ في هذا الباب المفتوح لاقلام الشعراء فاخترنا لاظهار مواهبه الفائقة نشر قصيدته المعروفة بقصيدة المؤتمر لانهُ نظمها في المؤتمر الدولي المشرقي الذي عقد في سنة ١٨٩٤ وكان فيه نائباً عن مصر · وقد ضمَّن هذه القصيدة «كبار حوادث وادي النيل من يوم قام الى هذه الايام» اما نحن فنقتطف منها ما لا يضيق عنه المقام ·

قال في الاستهلال يصف خروج السفينة بهِ من الاسكندرية ويذكر عظمة الله ·

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء
ضرب البحر ذو العباب حواليـها سماء قد اكبرتها السماء
لجة عند لجة عند اخرى كهضاب ماجت بها البيداء
ربِّ ان شئت فالفضاء مضيق واذا شئت فالمضيق فضاء
فاجعل البحر عصمة وابعث الر حمة فيها الرياح والانواء
يتولى البحار مهما ادلهمت منك لألاء عندها لألاء
واذا ما علت فذاك قيام واذا مارغت فذاك دعاء
فاذا راعها جلالك خرَّت هيبة فهي والبساط سواء
والعريض الطويل منها كتاب لك فيه تحية وثناء

ومنها يذكر فتح الملوك الرعاة لمصر ·

فعلى دولة البناة سلام وعلى ما بنى البناة العفاء
واذا مصر شاة خيرٍ لراعي السوء تؤذى في نسلها وتساء
ففريق ممتعون بمصرٍ وفريق في ارضهم غرباء
ان ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الاسر فكيف الخلائق العقلاء

ومنها في الالوهية والوحدانية وهو كلام لم تسمع أحسن منهُ اذنان ·

ربِّ شقتَ العباد ازمان لا كتب بها يهتدى ولا انبياء
ذهبوا في الهدى مذاهب شتى جمعتها الحقيقة الزهراء
فاذا لقبوا قوياً الهاً فلهُ بالقوى اليك انتماء
واذا آثروا جميلاً بتنزيهٍ فان الجمال منك حباء
واذا انشئوا التماثيل غرًّا فاليك الرموز والايماء
واذا قدَّروا الكواكب اربا باً فمنك السنا ومنك السناء
واذا يمموا الجبال سجودًا فالمراد الجلالة الشماء
ربِّ هذي عقولنا في صباها نالها الخوف واستباها الرجاء

فشققناك قبل ان تأتي الرسل وقامت بحبك الاعضاء
ووصلنا السرى فلولا ظلام الجهل لم يخطنا اليك اهتداء
واتخذنا الاسماء شتى فلما جاء موسى انتهت لك الاسماء

وقال بعد كلام عن موسى يصف فيه مجيء المسيح باسلوب يخلب الالباب

وُلد الرفق يوم مولد عيسى … والمروآت والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت … بسناه من الثرى الارجاء
وسرت آية المسيح كما يسري … من الفجر في الوجود الضياء
تملأ الارض والعوالم نورًا … فالثرى مائج بها وضّاء
لا وعيدٌ لا صولة لا انتقام … لا حسام لا غزوة لا دماء
ملك جاور التراب فلما … ملّ نابت عن التراب السماء
واطاعته في الاله شيوخ … خشّعٌ خضّعٌ له ضعفاء
اذعن الناس والملوك الى ما … رسموا والعقول والعقلاء
انما ينكر الديانات قوم … هم بما ينكرونه أشقياء

ثم انتقل الى النظر في العصر الذي تلا مجيء المسيح نظرًا سياسيًا متدرجًا الى مجيء صاحب الشريعة الاسلامية

هرمت دولة القياصر والدو … لات كالناس داؤهن الفناء
نال روما ما نال من قبل آثينا … وسميته ثيبة العصماء
أظلم الشرق بعد قيصر والغر … ب وعمّ البرية الارجاء
فالورى في ضلاله متمادٍ … يفتك الجهل فيه والجهلاء
وتولّى على النفوس هوى الاو … ثان حتى انتهت لها الاهواء
فرأى الله ان تطهر بالسيف وان تغسل الخطايا الدماء
وكذاك النفوس وهي مراض … بعض اعضائها لبعض فداء
لم يعادِ الله العبيد ولكن … شقيت بالغباوة الاغبياء
واذا جلت الذنوب وهالت … فمن العدل ان يهول الجزاء
أشرق النور في العوالم لما … بشرتها باحمد الانباء
باليتيم الامّي والبشر المو … حى اليه العلوم والاسماء
قوة الله ان تولت ضعيفًا … تعبت في مراسه الاقوياء
جاء للناس والسرائر فوضى … لم يؤلف شتاتهن لواء
وحمى الله مستباح وشرع الله … والحق والصواب وراء

ثم تدرج الى الدول التي تعاقبت فتح مصر فقال

ولو استشهد الفرنسيس روما … لاتتهم من رومة الانباء
علمت كل دولة قد تولت … اننا سمها وأنّا الوباء
قاهر العصر والملك نابليون … ولت قواده الكبراء
جاء طيشًا وراح طيشًا ومن قبل … أطاشت اناسها العلياء
سكتت عنه يوم عيرها الاهرام … لكن سكوتها استهزاء
فهي توحي اليه ان تلك واتر … لو فاين الجيوش ابن اللواء

ثم انتهى في تاريخ حوادث مصر الى ذكر الاسرة العلوية الكريمة واختتم هذه الابيات مخاطبًا مولانا الخديوي المعظم

هذه حكمتي وهذا بياني … لي به نحو راحتيك ارتقاء
الثم السدة التي ان انلها … تهو فيها وتسجد الجوزاء
سائلاً ان تعيش مصر ويبقى … لك منها ومن بنيها الولاء
كيف تشقى بحب حلمي بلاد … نحن اسيافها وحلمي المضاء

وهذه القصيدة تشتمل على ٢٩٣ بيتًا

وله في الغزل والمديح والوصف والفخر وكل صنوف الشعر قصائد تحرك الجماد وتطرب كل فؤاد . ولكن مواهبه الشعرية لم تظهر في كل هذه ظهورها في نظم الحكم والامثال على ألسنة الحيوانات جريًا على طريقة لافونتين الشاعر الفرنساوي الشهير فانه قد اتى في هذا الفن بما لم يأته احد قبله واليك بعض تلك الامثال تغنينا عن الوصف والاطناب .

سليمان والهدهد

وقف الهدهد في با … ب سليمان بذله
قال يا مولاي كن لي … عيشتي صارت مملّه
متّ من حبة بر … احدثت في الصدر غله
لا مياه النيل ترويها … ولا امواه دجله
واذا دامت قليلاً … قتلتني شر قتله
فاشار السيد العا … لي الى من كان حوله ☆
قد جنى الهدهد ذنبًا … وأتى في اللؤم فعله
تلك نار الاثم في الصدر … وذي الشكوى تعله
ما أرى الحبة الا … سرقت من بيت نمله
ان للظالم صدرًا … يشتكي من غير عله

البلابل التي رباها البوم

أنبئت ان سليمان الزمان ومن … أصبى الطيور فناجته وناجاها
اعطى بلابله يومًا يؤدبها … لحرمةٍ عنده للبوم يرعاها
واشتاق يومًا من الايام رؤيتها … فاقبلت وهي اعصى الطير افواها
اصابها العي حتى لا اقتدار لها … بان تبث نبي الله شكواها
فنال سيدها من دائها غضبٌ … وودّ لو انه بالذبح داواها
فجاءه الهدهد المعهود معتذرًا … عنها يقول لمولاه ومولاها
بلابل الله لم تخرس ولا ولدت … خرسًا ولكن بوم الشؤم رباها

الحمار في السفينة

سقط الحمار من السفينة في الدجى فبكى الرفاق لفقده وترحموا
حتى اذا طلع النهار أتت بهِ نحو السفينة موجة تتقدم
قالت خذوهُ كما أتاني سالماً لم ابتلعهُ لانهُ لا يهضم

ثعلب وديك

برز الثعلب يوماً في شعار الواعظينا
فمشى في الارض يهدي ويسبُّ الماكرينا
ويقول الحمد لله اله العالمينا
ياعبادَ الله توبوا فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطيران السعيش عيش الزاهدينا
واطلبوا الديك يوءذن لصلاة الصبح فينا
فأتى الديكَ رسول من امام الناسكينا
عرض الامرَ عليه وهو يرجو ان يلينا
فاجاب الديك عذراً يا أضلَّ المهتدينا
بلغ الثعلب عني عن جدودي الصالحينا
عن ذوي التيجان ممن دخل البطن اللعينا
انهم قالوا وخير القول قول العارفينا
مخطىءٌ من ظنَّ يوماً ان للثعلب دينا

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على مواهب الشاعر دام بلبل الاريكة الخديوية الفخيمة

اخبار داخلية

اصطدام — حدث اصطدام هائل في الرمل بين قطار الحكومة وقطار شركة الرمل وكان في القطار الثاني صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري محافظ الثغر وكثيرون من الركاب فجرح سعادته في كتفه وفي فخذيه اما باقي الركاب فمنهم من كُسرت اسنانه واضراسه فاخذها بيديه وصار يريها الحاضرين وهو يصرخ من الألم ومنهم من كسرت فخذه ومنهن من اصيب عند الاصطدام باعراض تشبه الجنون من شدة خوفه . وقد كانت الصدمة شديدة الى حدٍ رفعت فيه الركاب الى سقوف المركبات وقذفت بهم جدرانها قذفاً . فاضطرب القطر لهذا الاصطدام الاليم وتواردت الرسائل البرقية على سعادة المحافظ بالسوآل عن صحته حتى تجاوزت ٥٠٠ رسالة . فعسى ان ما حدث هذه المرة من الخطاء لا يحدث مرة ثانية صيانة للنفوس والارواح .

الحج والطاعون — استفتت الحكومة المصرية ائمة الاسلام في مصر في منع المصريين من الحج في هذا العام لظهور وباء في جدة وفي مكة المكرمة يقول بعضهم انه الطاعون ويقول آخرون انه وباء ثانٍ يشبهه فافتى الائمة بعدم جواز المنع وان يترك للمسلمين الاختيار بين الاقدام على الحج او القعود عنه

وقد بلغ عدد الحجاج الذين قصدوا الاقطار الحجازية عن طريق الاسكندرية الى ١٦ مارس الماضي ٧٦٠٢ والذين برحوا هذا الثغر في ذلك اليوم فقط ٨٠١ منهم ٥٠٩ عثمانيون و ١٣٦ مصريون و ٥٨ روسيون و ٤٠ ايرانيون و ٢٩ من الزولوس و ٢٦ من البوسنه والهرسك و ٣ من البرتغاليين . اما القاهرة فقد سافر منها الى منتصف الشهر الماضي نحو ثلاثمائة حاج

الجمعية السورية الارثوذكسية — اتانا من حضرة سكرتير الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الثغر بيان للنمر الرابحة من نمر يانصيب هذه الجمعية الذي جرى سحبه في دار كنيسة سيدة النياح للروم الارثوذكس السوريين في محفل حافل بالاعيان تحت ملاحظة حضرات الوجهاء الافاضل الخواجات جورج كرم وهبه كرم حبيب وهبه نجار تيدور حموي خطار مخائيل حاوي بشاره فيغالي . فربحت الجائزة الاولى وقدرها الف غرش صاغ النمرة ٧١٦ ثم تليها اربع نمر ربحت كل منها ٢٥٠ غرشاً وعشرون نمرة اخرى ربحت كل منها مائة غرش صاغ . والنمر الرابحة تدفع من محل الخواجات سمعان كرم واخوانه في الثغر نقداً بعد حسم ٥ في المائة لفائدة الجمعية

فنحن مع غنا بالغنا في الثناء لا نفي حضرات رئيس واعضاء هذه الجمعية حقهم منهُ فانهم بمساعيهم الحميدة جعلوا الجمعية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية خير مثال للجمعيات الارثوذكسية الاخرى في مصر والشام فكان في ذلك برهان جديد على نجاح الشرقيين في اعمالهم العمومية متى اعطوا القوس باريها ووكلوا الى سراتهم وكبارهم ادارة شؤونهم

نمرة رابحة — ربحت نمرة من نمر اليانصيب في معرض الشفقة في الاستانة العلية مرآة صغيرة مصنوعة في عهد لويس الرابع عشر وعليها رسم البوسفور وهي في جملة الاشياء الثمينة

التي اهداها لذلك المعرض جلالة مولانا السلطان الاعظم . وتقدر قيمة هذه المرآة بار بعمائة ليرة عثمانية .

احتكار الكبريت — منحت الدولة العلية امتيازًا باحتكار الكبريت لشركة يديرها حضرة صاحب العزة شوقي بك من موظفي ادارة البوسطه فعسى ان تكون هذه الشركة وطنية وان لا تنقلب اجنبية.

الشركات الجديدة — قيل ان الحكومة المصرية بالنظر الى كثرة قيام الشركات العمومية في القطر تنوي وضع قانون جديد لها منعًا لما عساه ان يجوز من تزوير او غش على الذين يقبلون من غير الخاصة على شراء اسهمها . وهذا غاية ما تستطيعه الحكومة في خدمة الامة من هذا القبيل فهلا خدمت الامة نفسها ايضًا فقامت الى تأليف الشركات الزراعية والصناعية والتجارية قيام الاجانب اليها الآن حتى كاد يسمى هذا الزمن « زمن الشركات »

بيروت — تصدّت الحكومة في بيروت لبعض مهرّبي الاسلحة والتنباك فجرى نزاع شديد بين الجنود والمهربين قتل فيه واحد من كل من الفريقين وجرح منهم بضعة اشخاص وضبطت الحكومة الاشياء المهرّبة والقت القبض على بعض الاشقياء

الجنسية العثمانية في مصر — لا تزال اللجنة التشريعية توالي البحث في مشروع اعطاء العثمانيين في مصر حقوق الجنسية المصرية . والظاهر ان هذا المشروع قد تقرّر بالاجمال وانما الخلاف على التفصيل

الجرائد والجامعة — تشكر الجامعة رصيفاتها الكريمات اللواتي أثنين عليها وامتدحن خطتها وتشكر بالخصوص رفيقاتها اليومية اللواتي ابدّينها بنقل بعض فصولها لقرائهن الكرام كجريدة مصر الغراء التي اخذت لقرائها فصل « الاصلاح الحقيقي » وجريدة الاخبار الغراء فصل « عنوان الجامعة » وجريدة السلام الغراء « فصل المعلم والتربية » . وانا نسأله تعالى ان يسدد خطانا في هذه الخدمة ويمنحنا شيئًا من القوة التي تجاهد بها رصيفاتنا في خدمة الوطن والاداب انه ولي التوفيق والنجاح . هذا وتعتذر الجامعة عن نشر التقاريظ التي وردتها من الادباء مكتفية برد ذلك الثناء اليهم وشكرهم شكرًا خالصًا

كتاب الجامعة الافاضل — ننشر في الجزء القادم المقالة الاولى من مقالات كتاب الجامعة الافاضل وعنوانها « السلطنة السماوية » لحضرة صديقنا الكاتب المجيد اسعد افندي باسيلي الطرابلسي . وحضرته معروف في عالم الاقلام في مصر بمقالات نشرها في جريدة الاهرام الغراء بتوقيع « سهيل » كان لها حسن الوقع لدى القراء .

ونبشر قرأ الجامعة انهم سيقرأون فيها من اقلام هؤلاء الكتاب المجيدين ما يستحق ان نوجه انظارهم اليه من الآن . وحسب الجامعة فخرًا في ذلك انها تكون همزة الوصل بين فريقين من افاضل الشرقيين — فريق الكتاب والعلماء وفريق القــراء .

اخبار خارجية

الدولة العثمانية — وصلت الى جزيرة قمران باخرة من سنغافورة تقل جماعة من الحجاج قاصدين مكة وقد حدث في اثناء سفرها ست وفيات اشتُبه ان سببها الطاعون

مصر — ارسل سعادة اللورد كتشنر رسالة برقية الى الحكومة الانكليزية يقول فيها انه يقبل مسئولية نبش قبر المتمهدي وارسل حضرة اللورد كرومر رسالة اخرى يعضده فيها ويستحسن عمله . فعرضت هاتان الرسالتان على مجلس العموم الانكليزي .

انكلترا — سافرت جلالة الملكة الى بلدة سيميز في فرنسا لقضاء فصل الصيف فيها ولما مرت بطولون اعربت لوكيل المحافظة عن اسفها وحزنها للانفجار الذي حدث في تلك المدينة

قال وكيل الخارجية في مجلس العموم ان انكلترا لا تريد منع تجارة الرقيق في افريقيا الشرقية دفعة واحــدة

صرح وكيل وزارة الخارجية ان انكلترا لا تنوي سوق

حملة جديدة على التعايشي اذ ليس ما يدعو الى ذلك الان
فاز في سباق الزوارق تلامذة كلية كمبردج .

اعلنت جريدة الدالي كرونيكل ان جلالة قيصر روسيا تساهل مع انكلترا في تسوية ما بينهما من المشاكل بشان سكة حديد نيوشوانغ ليقيم بذلك دليلاً على نيته السلمية قبل انعقاد مؤتمر نزع السلاح وبذلك فض الخلاف بشان الصين كما فض بشان بحر الغزال .

روسيا — اشاعت الجرائد الاوروبية ان سفر سفير روسيا من سربيا على الوجه المذكور في الرسم التالي سيكون وسيلة لارتخاء الصلات بين الروسيا والنمسا لان هذا السفير قد عرض على حكومته ان يقيم لها البرهان على ان النمسا لم تف بوعدها لروسيا من التزام السكينة في شبه جزيرة البلقان وان يدها هي التي تحرك الملك ميلان الآن — (انظر الرسم التالي)

قامت الجرائد الروسية تقول بعد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وانكلترا بشان بحر الغزال واعالي النيل ان مسالة مصر هي مسالة دولية

اشتدت المجاعة في الولايات الروسية الواقعة على شواطئ نهر الفولجا وفشا داء التيفوس فيها ايضاً

فرنسا — قال الموسيو لوكروى وزير البحرية في مجلس النواب انه في ايام حادثة فشودة كانت العمارة الفرنسوية موجودة في الترسانات البحرية مجردة من الاسلحة تجرداً كلياً ومعظم المقذوفات بلا فتائل . ثم شرح الاصلاحات العظمى التي شرع فيها

جرى عقد الاتفاق في لندرا بين انكلترا وفرنسا على الاراضي الافريقية فاخذت انكلترا لها ولمصر ولايات بحر الغزال والدارفور واخذت فرنسا ولايات وادي وباغيرمي وكانين على شواطي بحيرة تشاد . وقد تعاهدت الدولتان على اباحة التجارة لكل منهما في الاراضي التي اتفقتا على تحديدها ومنحت فرنسا بنوع مخصوص ان تنشئ مكاتب تجارية على نهر النيل ومتفرعاته من الخط الخامس من الخطوط العرض الى الخط الخامس عشراي مما يلي الخرطوم جنوباً الى الاراضي التي تلي لادو شمالاً . فسرّ هذا الاتفاق الجرائد الانكليزية والفرنسوية ووضع حداً للاراجيف بين هاتين الدولتين

سافر اللورد سالسبوري الى ريفييرا في فرنسا للاستراحة قليلاً من عناء الاعمال

الولايات المتحدة — احترق وندسور اوتيل الواقع في وسط المدينة ودُمر في ٤٠ دقيقة فمات فيه ١٤ نفساً وجرح ٥٠ اغلبها من النساء ويؤخذ من اجماع الشهادات ان اللصوص هم الذين احرقوا هذا النزل

أُرسلت جملة بطريات جبلية الى ما نيلا والمظنون ان الثائرين لم يتألموا كثيراً من هزيمتهم الاخيرة وان في استطاعتهم الاستمرار على القتال في الغابات الى ما شاء الله

المانيا — قررت الحكومة الالمانية عدد الجيش في زمن السلم ٤٩٥ الف رجل بدلاً من ٥٠٠ الف والفي رجل كما كان وارداً في المشروع الذي اعلنه الامبراطور غليوم عند افتتاح الرشستاغ وذلك نتيجة اقتراع هذا المجلس على عدم زيادة الجيش . ثم ان الرشستاغ وافق على اقتراح تسوية حاسم للنزاع قدمه المسيو ليبر فاجتنب بذلك حدوث ازمة في المجلس وصدق المجلس على مشروع الزيادة

سافر المستر سسل رودس الى برلين ليتفق مع حكومتها بشأن مد سكة حديدية وسلك تلغرافي من جنوبي افريقيا في الاملاك الالمانية حتى يتصلا بالسكة المصرية والسلك التلغرافي في القاهرة ويظهر من مقابلته للامبراطور غليوم واهداء الامبراطور صورته اليه وتناول الامبراطور والامبراطورة العشاء معه على مائدة السفير الانكليزي في برلين ان هذا الرجل العظيم خرج من المانيا فائزاً بما اراده .

ايطاليا — ردت الصين طلب ايطاليا ان تتنازل لها عن خليج سانمون واعادت مذكرتها الى سفيرها في بكين . فغضب السفير وارسل بلاغاً الى ديوان الخارجية يطلب ان يسترد تلك المذكرة في خلال اربعة ايام وأن يقبل طلب ايطاليا . فصرّح حينئذ وزير خارجية ايطاليا في مجلس النواب ان السفير الايطالي قد قدم هذا الانذار من تلقاء نفسه ولذلك عزل من منصبه وعين مكانه المركيز راجي . وسبب ذلك وعد ايطاليا الدول وبالخصوص انكلترا ان لا تستخدم القوة في نيل الامتياز الذي طلبته .

اسبانيا — امضت ملكة اسبانيا الوصية عهدة الصلح مع الولايات المتحدة بدون ان تعرض هذه العهدة على مجلس النواب بسبب رفضه المتوالي قبول مسئولية التصديق

(* غذاء المعد القوية [1] *)

كل رزايا الانسان تأتيه من مصدر واحد وهو عدم مقدرته على البقاء منفرداً وحده. هذا سبب اقدامه على الحب والحباب والقداح والاقداح والنميمة والحسد ونسيان الله والناس .

لا يتفق الرجال والنساء في حكمهم على امراة لان كلاً من الفريقين ينظر اليها من وجه فما يرضى الرجل منها يسخط المرأة عليها.

سمع رجل يتمنى ان يكون ابنة من السنة الثالثة عشرة من عمره الى الثانية والعشرين وان يعود بعد ذلك رجلاً .

للانسان ثلاثة ادوار الولادة والحياة والموت. اما الولادة فلا يحس بها والموت يتألم منه والحياة تمر مرور الزوبعة فلا يكاد يشعر بها .

اذا رايت امراة تصلح وجهها فلا تقل «انها تحط ابيض او احمر» بل قل انها تكذب وتغش نفسها والله والناس.

اذا كان النساء يصلحن وجوههن ليرضين بذلك انفسهن فليصنعن بها ماشئن وليضعن ما اردن من الطحين والحبر عليها. اما اذا اردن بذلك استرضاء الرجال واستمالتهم فاسمعن ايتها السيدات فاني قد استشرت الرجال واخذت اصواتهم جميعاً . انهم يحبون البساطة الطبيعية ويكرهون الكذب والرياء فلا تشترين قبح الوجه اذاً بالمال . هذا هو رأي الرجال (لا ينس القارىء ان هذا من لا بر و ببر ايضاً)

رجل كثير الكلام خفيف النفس لا يحفظ سرا شديد الدعوى والمفاخرة يمدح نفسه كثيراً ويذم الناس كثيراً بلا استقامة ولا ادب ولا معرفة — ماذا ينقصه حتى يصبح معبوداً من النساء ؟ ينقصه وجه جميل .

فراقك من تحبه خير بالقياس الى اجتماعك بمن تكرهه

اذا اصغى الانسان الى حديث بعضهم وسمع ذلك الكلام الفارغ الذي يدور عليه محور الحديث قام في نفسه انفة من الدخول معهم فيه . واذا سكت والتزم الصمت دائماً قالوا انه ابله لا يتكلم فلا مناص اذاً من ترك فلان يتكلم عن طربوشه وحذائه وفلانة عن فسطانها وقبعتها او عن اكلها وورق لعبها وحذار ان تسخر منهما في باطنك وهما يتكلمان فانك تخل بالواجب وحذار ان تترك السمع فان ذلك ضد الادب وحذار ان تسمع فانك تنعس وتنام من الضجر — فماذا تصنع اذاً .

(* غذاء المعد الضعيفة *)

بين معلمة وتلميذاتها : سألت معلمة تلميذاتها لماذا نطلب من الله ان يعطينا خبزنا «كفاة يومنا» ولا نطلب منه خبزاً ليومين او ثلاثة او اربعة . فاجابت ابنة صغيرة ببساطة قائلة — حتى يكون خبزنا «طريا» دائماً .

بين صبي وامه : قال صبي يوماً لامه قولي لي يا أماه لماذا ظهر يسوع عند قيامته للنساء اولاً . فأجابت الام — حتى ينتشر الخبر بسرعة شديدة يابنيّ .

بين معلم وتلميذه في الامتحان : سأل المعلم — ماذا ترى فوق رأسك لما تكون خارج البيت . فاجاب التلميذ — ارى السماء . قال المعلم — واذا كانت السماء متلبدة بالغيوم . فاجاب التلميذ — حينئذ أرى مظلتي (شمسيتي)

بين معلم وتلميذه ايضاً : قال المعلم — اذا طرحت ٣ من ٦ فكم يبقى . قال الولد — لا اعلم ياسيدي . فقال المعلم — لو كان في يدك مثلاً ٦ تفاحات وطلبتُ ان تعطيني ٣ منها فكم يبقى لك . فاجاب الولد — ست. قال المعلم هذا لا يكون لاني طلبت ٣ من هذه التفاحات الست . فاجاب الولد على الفور — نعم ولكني لا اعطيك ما طلبت .

اعور في المعرض : أراد اعور ان يزور معرض الزهور فلما وصل الى باب المعرض سأل البواب — ما هو رسم الدخول فاجابهُ — غرش واحد . فقال الاعور — هذا نصف غرش لاني لا اشاهد المعرض الاّ بعين واحدة .

بين شابين : كيف جمالها ؟ — كالشمس — وعيناها ؟ — كعيني الظبية — وجيدها ؟ — كجيد الغزال. واسنانها ؟ — اما اسنانها فكأسنان الطفل عند اول ولادته.

الدوطه : تزوج رجل بفتاة ذات دوطه كبيرة لوفاء دبون عليه . فساله احد اصدقائه — كم لعروسك من العمر وفي اي دور من الحياة هي . فاجاب الزوج — في دور الذهب.

خطيب مصقع : دخل ملك إحدى المدن فانتدب خطيب لاستقباله فلما اجتمع القوم لسماع الخطيب وقف هذا وافتتح الكلام قائلاً — كان اسكندر الكبير . كان اسكندر الكبير . وارتج عليه . فقال الملك — نعم كان اسكندر الكبير يتغدى عند الظهر وقد صارت الساعة الثانية بعد الظهر ولم اتغدَّ فاستودعكم الله . ثم مضى لسبيله

---

(١) خطرات افكار مأخوذة عن لابروبير الحكيم

الحب حتى الموت

رواية ادبية اجتماعية غرامية حدثت حوادثها في اميركا ومصر والقدس الشريف
وطرابلس الشام ولبنان تأليف منشئ هذه المجلة

الفصل الاول

اذا كان النور جميلا فالظلام جميل ايضاً

بين بيروت وطرابلس الشام جبل تابع للبنان داخل في البحر يسميه البحارة الوطنيون «رأس الشقعة» او «رأس النوريه» ويسميه بعض الاولاد في طرابلس «وابور الشقعة»

والسبب في ان هؤلاء الاولاد يسمونه كذلك ظهور طرف هذا الجبل لهم بشكل مقدم الباخرة وذلك بدخول لسان عند البترون وراءه في البحر يظهره بهذا الشكل

واما تسمية البحارة اياه براس النوريه فقيام دير قديم في جهته الشمالية باسم السيدة العذراء وقد سمي النوريّة اما لاطلاقهم هذه الصفة على السيدة العذراء على سبيل المجاز والوصف واما لزعم العامة انها عليها السلام تتمثل ليلة عيدها السنوي الذي يحتفل به في تلك الجهات احتفالاً باهراً بشعلة من نور تنتقل في البحر والبر في تلك الليلة الى ما قبل انفجار النهار

ففي ليلة من ليالي الصيف الصافية كان راهب من رهبان هذا الدير جالساً على صخرة على مقربة منه وعيناه شاخصتان في السماء الزرقاء المشعشعة بالنجوم المتلألأة فوقه. والفضاء غير المتناهي المتسع امامه. والبحر المنبسط تحته ساكناً هادئاً كانه اعيته الحركة في النهار فلجأ في الليل الى فراش الراحة والسكينة. وكان هذا الراهب يقلب طرفه في تلك المناظر من حين الى حين وفمه يردد هذه الكلمات — اذا كان النور جميلاً فالظلام جميل ايضاً

الا إنه كان كثير الالتفات الى جهة الشمال والتحديق فيها كمن ينتظر امراً. وكان كلما حدق فيها واعاد عنها نظره خائباً ادخل اصابعه في لحيته وردد قوله — ما اجمل الظلام. اذا كان النور جميلاً فالظلام جميل ايضاً

وبينما كان يردد هذه الكلمات واصابعه تسابق نسمات الليل في التلاعب بشعرات لحيته الطويلة واذا بيد وضعت على كتفه وقائل يقول له

— ما قولك يا ابانا في هذا الظلام

فالتفت الراهب بتأن ورزانة كانه كان متوقعاً هذه الزيارة وقال

— ظلام اجمل من ضوء النهار

قال الزائر — وفي هذه النجوم

فاجاب الراهب — هي مصابيح امل الانسان

قال الزائر — وفي هذا الفضاء

فاجاب الراهب — متسع لا نهاية له كالنفس البشرية

قال الزائر — وفي هذا البحر

فاجاب الراهب — مرُّ الطعم كالحياة

فقال الزائر باسماً — احسنت هذه المرة يا ابانا فقد حفظت هذه الامثولة جيداً فعسى ان لا تغلط فيها فيما بعد واظنني قد قلت لك مرة انها مما قاله فيكتور هيغو في شعره فاذكرني يا ابانا كلما وقفت في السنين الآتية في هذا المكان في هذا الظلام «الجميل» كما تقول

وذكرت لهذه النجوم انها مصابيح الامل ولهذا الفضاء انه متسع كالنفس البشرية ولهذا البحر الذي سيحملنا بعد حين انه مرُّ الطعم كالحياة

ولو لم يكن الظلام حالكاً لابصر الراهب دمعة بللت عين الشاب ثم ما لبثت عينه ان شربتها .

وكأنه كان بين الراهب والزائر اشتراك في الافكار فقال الراهب بشيء من العبوسة والجد

— وهل قربت الساعة فانني لا ارى في البحر شيئاً

— انها ستصل في منتصف الليل ونحن الآن في الساعة الحادية عشرة ونصف

ولم يتم الزائر كلامه حتى صاح صائح من ورائه

— وهل تكفي نصف ساعة لوداع ابينا ظلانور

فنظر الراهب الى زائره الاول وقال بشيء من الانبساط

— لقد جاء كثير المزاح

فاجاب الزائر الاول

— انني احبه ولكني اكره مزاحه

وكان الزائر الثاني قد وصل اليهما فوضع يده في يد الراهب وقال — ما قولك يا ابانا في هذا الظلام

فاجاب الراهب

دعنا الآن ياولدي من هذا المزاح فقد مضى اوان المزل وجاء الجد . اجلسا الى جانبي واصغيا اليَّ فانه لم يبقَ لكما عندنا الا دقائق معدودة

فجلس الزائران واحد عن يمين الراهب وواحد عن يساره فالتفت الراهب الى الزائر الاول وقال

— اصحت عزيمتك على السفر يا اميل

فرفع الشاب عينيه ونظر في وجه الراهب ثم قال باسماً

— وهل عهدت فيَّ انني اتول شيئاً قبل ان تصح عزيمتي عليه

فنظر الراهب الى الزائر الثاني وقال

— وانت يا يوسف الا تزال مصراً على السفر ايضاً

— لا يقعدني عن السفر الا القعود تحت الحجر .

— ولكن سفركما يا ولديَّ بطر في بطر . فانك يا اميل شاب كل ما بدا منك الى الآن يبشر بمستقبل عظيم ولك في قريتك كلمة نافذة وكرامة لدى جميع مواطنيك فضلاً عما لك من الراتب في مدرسة القرية . وانت يا يوسف ما الذي ترجوه من سفرك هذا . اذا كنت تطلب مالاً فانك ذو مال واذا كنت تطلب وجاهة فانك ذو وجاهة ايضاً . ولا تنسيا انكما مخلفان عندنا رسماً تاخذان ارواحها معكما وانكما قادران على كفايتها عذاب الفراق ومضض البعاد بل انه يجب عليكما كفايتها ذلك يايوسف ويا اميل وخصوصاً اذا كان في جملتها ابوان بشعور بيضاء . فهل ذكرتما قبل الاقدام على السفر ما وراءكما وما امامكما

فاجاب اميل برزانة

— نعم ذكرنا فعلمنا ان السهم لولا مفارقة القوس ما اصاب والاسد لولا فراق الغاب ما صاد والعود في ارضه نوع من الحطب

فقال بطرس

— وعلمنا ايضاً ان في الارض قوماً يتنعمون ويتمتعون بملذات الحياة يقضون حياتهم في غبطة دائمة ونعيم مقيم على حين اننا نعيش بين اربعة جدران في هذه القرية الصغيرة المجاورة لهذا الدير

كما تعيش العلقة في قارورتها او الضفدعة في ساقيتها.
فما خلقنا نحن يا ابتاه لهذه المعيشة الحقيرة . نريد الملاهي والملذات والمركبات والانوار الكهربائية وكل ايات التمدن الساطعة . نريد بحراً عميقاً لحمل سفينتنا فان هذه السواقى اصبحت عاجزة عن حملها

فضحك الراهب وقال

— لقد كان في جوابكما دليل ظاهر على ما في نفس كل منكما . فانت يا اميل طالب للعلى وانت يا يوسف طالب للملذات . ولكن صدّقاني ان اللذات والعلى لا تؤدي الى طريق السعادة التي تنشدانها . على اني ارى كلامي ذاهباً ادراج الرياح وخصوصاً بعد ما علمته من تأهبكما للسفر تأهباً لا مرد له فارحلا في حفظ الله وحراسته ولكن تذكرا دائماً تلك الرمم التي خلفتماها هنا واذكرا انها تعيش في لبنان بنسمات روحها التي في اميركا

قال الراهب ذلك ومسح بكمه دمعة جرت على خده ثم قال

— ولك ان تعلم يا اميل مقدار حزن امك وتلامذتك على فراقك مما يجده اصدقاؤك من الحزن على سفرك . اني لست الا صديقاً لك ومع ذلك فاني لا اتمالك نفسي عن البكاء لدى افتكاري بانني ما عدت اراك في كل صباح ومساء كما اعتدت ان اراك منذ سنوات عديدة. وماذا صنعت امك لما علمت بعزمك على السفر

— صنعت اولاً كما تصنع كل ام عند عزم ولدها على فراقها . ولكنها صبرت عند معرفتها انها لاحقة بي الى اميركا بعد وقت غير طويل . فانها تحب تلك البلاد لانها تعرفها وقد قضت فيها ثلاث سنوات مع والدي المرحوم الذي قضى شهيد الغرق المشؤوم الذي تعرف قصته . وقد اخذت امس من صديقنا الخواجا بولس في نيويوك كتاباً يحثني فيه على السفر وطيه كتاب من عائلته الى والدتي بذلك المعنى ايضاً فزادني ذلك الكتاب شوقاً الى السفر وزاد امي صبراً على فراقي لانها متيقنة انها ستتبعني بعد حين

ولو كان هنالك من يراقب وجه الزائر الثاني الذي دعاه الراهب باسم بطرس لنظر فيه دلائل الدهشة الشديدة حين لفظ اميل اسم الخواجا بولس وعائلته . والغريب ان اميل لفظ هذا الاسم ومد يده الى جيبه فاخرج منها شيئاً ووضعه في الظلام الحالك على شفتيه ثم اعاده الى جيبه وهو يضمه الى صدره. وكذلك بطرس فانه ما لفظ اميل اسم بولس حتى اخذ شيئاً من جيبه فقبله مرة او مرتين في الظلام الحالك واعاده الى جيبه بعد ان ضمه الى صدره ايضاً

ولو كان هنالك عين ترى في الظلام من وراء الملابس ما في الجيوب كعين اشعة رنتجن مثلاً لرأت ان ذلك الشيء الذي اخذه بطرس من جيبه فقبله واعاده اليها هو قطعة من الورق مربعة الشكل عليها رسم فتاة بارعة الجمال وكذلك الشيء الذي اخذه اميل من جيبه . ومنتهى الغرابة في ان تلك العين لو كانت حادة النظر لقرأت على ظهر هذين الرسمين في جيب كل من الشابين هاتين الكلمتين « ماري بولس »

الا ان اميل ما اتم كلامه حتى شخصت عيناه الى جهه الشمال لنور ساطع بدا على لسان داخل في البحر في الجهة الشمالية من راس النورية ويعرف هذا اللسان عند اهالي تلك الناحية بلسان انفه لدخوله في البحر عند قرية بهذا الاسم

فقال بطرس

— ما هذه النار التي نراها هناك

فاجاب اميل

— ان هذه النار حريقة يضرمها قوم يرصدون خروج السفينة من ميناء طرابلس وهي علامة بينهم وبين اصحابنا الذين سيهربوننا من هذا المكان حتى اذا رأوها استعدوا لانزال الركاب الى السفينة

— وهل تقف السفينة ههنا بعيدة عن الشاطىء

— تقترب من الشاطىء ما استطاعت الاقتراب في ظلام الليل. ومن سوء حظها ان الذين سبروا غور المياه في الموانى السورية واللبنانية ورسموا لها الخارطات البحرية لم يسبروا غور المياه كما يجب وراء راس الشقعة لانه لم يخطر لهم قط ان هذا الخليج الصغير سيكون يوماً موقفاً للسفن ومكاناً لنزول الركاب والمسافرين . والا لو كان غور المياه مسبوراً ههنا كما يجب لدنت السفينة من الشاطىء فوق ما تحتاج اليه الزوارق التي ستحملنا اليها في هذا الظلام.

فضحك بطرس عند ذكر الظلام والتفت الى الراهب وقال

— لم تحدثنا الى الآن بشيء عن الظلام يا ابتاه

فقال الراهب برزانة

— احدثك بذلك الآن ان اردت ولكن جاداً لا مزاحاً

انت تعلم اني احب الظلام الا انني لا احب جميع انواعه . وللظلام انواع كثيرة كما تعلم . اولها هذا الثوب الاسود الجميل الذي يكسو الطبيعة الآن وهي هادئة ساكنة وهذا هو النوع الذي احبه واعشقه فان للطبيعة جمالاً في الليل كما لها جمال في النهار واذا كان ضوء النهار جميلاً فان الظلام جميل ايضاً. اما الظلام الذي لا احبه بل اكرهه فكثيرة انواعه. ارأيت ذلك الرجل الساحب اذيال الكبرياء الذي لا تهمه غير مصلحته عاش الناس او ماتوا . هذا الرجل هو في الظلام وهذا الظلام اكرهه وامقته . أرأيت ذلك الخفيف النفس الثقيل الروح الكافر بنعمة الله المحتقر للارض والسماء معاً الذي لا يعلم للفضيلة معنى ولا للصلاح اسماً ولا رسماً . هذا الرجل هو في الظلام وهذا الظلام اكره انواع الظلام الي . أرأيت ذلك المداهن المرائي . وذلك الغليظ القاسي . وذلك المتلون المتذبذب . وتلك المرأة الكريهة والزوجة الغبية المنتفخة كالاسد وهي ليست الا هراً كل هؤلاء في الظلام وهذا الظلام لاشد منه سواداً في عيني ولا اكره منه الي . فاني احب ظلام الليل يابني لانه ستار الهدوء الطبيعي والسكينة الطبيعية ولكني اكره ما اسميه ظلام الشر لانه ستار الرذيلة ورائد الشر دائماً فاذا ذكرت من الآن فصاعدا حبي لظلام الليل فاذكر كراهتي لظلام الشر لعل هذه الذكرى تفيدك في غربتك البعيدة

فساء كلام الراهب صاحبنا بطرس كأن هنالك ابرة وخزته كما تقول العامة فقال الراهب

— وهل تعنيني بشيء مما ذكرت يا ابتاه

— لا تسلني يابني فلست اتكلم عنك وحدك بل انا قائل ما قلت عن جميع هذه العائلة الانسانية الكبيرة القاطنة تحت قبة السماء . دعنا من هذا ولا تثر اشجاني . كنت ارجو ان يخاصني انفرادي في هذا الدير مما كنت فيه ايام كنت غارقاً في تيار العالم فخاب ما رجوت وذهبت آمالي ادراج الرياح. كنت اقول لنفسي في تيار العالم — اخرجي يا نفس من هذا التيار . التمسي لك نفقاً في الارض او سلماً في الجو واعتزلي الناس وشرورهم وآثامهم واخلصي من كبرياء البعض ودناءة الاخرين الا اني لما اعتزلت الدنيا في هذا الدير علمت ما كنت اجهله قبلاً . علمت ان الانسان في تيار الحياة يرجو الخروج منه واذا خرج منه فلا يلبث ان يطلب الرجوع اليه . وهو اذا اقام في ذلك التيار حمله مجراه الى حيث لا يعلم فيقضي ايامه من غير ان يشعر بالحياة ولذاتها واذا خرج من ذلك التيار قضى ايامه في ندب مفقود وانتظار موعود وسآمة موجود . وكلا الاثنين يصلان الى القبر حد الحياة الدنيا الواحد متضجراً من المعيشة لانه لم يرَ فيها يوماً ابيض يسره طلوع شمسه عليه والثاني متحسراً عليها لانه يعتبر ان الحياة افلتت من يده افلاتاً. ثم نظر الراهب الى السماء وقال — نعم ان بين هاتين الحالتين وسطاً قد يكون فيه راحة لنفس الانسان ولكن .. اين نحن في هذا الدير من هذا الوسط .. لم يخلق الانسان ليعيش منفرداً . واذا كان في بعض الاخلاق من الضعف وحب الاعتزال ما يحبب الى صاحبها هذا الانفراد فيجب ان يكون في الانفراد هيئة اجتماع تؤنس وحشته وتخفف وطأته ويجب ان يكون معها ايضاً عمل يعمله الانسان والاّ فذلك الانفراد يجرّ وراءه ما لا يحصى من الشرور والآثام. قلت لكما ذلك وانتما على اهبة السفر لاطلعكما على ما اجده من التعب في وحدتي هذه فاخفف عنكما به غصة الفراق اذ تعلمان انكما مسافران للسعي والضرب في اقطار العالم انتجاعاً لخيراته وتحسيناً لاحوالكما على حين اننا نحن نبقى هنا كالماء الراكد يزداد فساداً كلما ازداد ركوداً

فقال اميل للراهب

— ولماذا لا تذهب معنا يا أبتاه

— انا اذهب معكم انت تمزح يا اميل فيما تقول . اتظن ان ما اقدمتم عليه سهل يا بني ام تحسب ان كل الناس بصباكم وحدة نفوسكم . كلا ان ما تأتونه غير جدير بمن جاوز سن الشباب ولا يليق الا بالشبان مثلكم . فان الاصول التي تربطكم بالارض يسهل عليكم قطعها ايها الشبان لانها لا تزال لينة اما اصولنا نحن الكهول والشيوخ فقد جفت ويبست وتمكنت من الارض فلا يقطعها الا الموت. وفضلاً عن ذلك فان علينا نحن واجبات هنا يا بني كما ان عليكم واجبات هناك . من واجباتكم انتم السعي والعمل لانفسكم ولعيالكم ولوطنكم ومن واجباتنا نحن البقاء بعدكم نضمد الجروح التي يوجدها فراقكم ونخفف المصائب التي ينزلها سفركم .ولكن قل لي قبل

هذا هل رفيقكم حنا ذاهب معكم ايضاً

— نعم

— ومن اين اخذ المال لنفقة سفره

— لابيه بيت لا يملك سواه رهنه وعزم على السفر

— وصاحبكم يوسف

— ذاهب ايضاً

— ومن اين له المال

— باع فدان ابيه وحقلاً له واخذ الثمن

— وما يحل غداً بعيالهما اذا لم ينجحا

— كما حل بعائلة نخله

— مسكينة هذه العائلة . لقد ضربتها اميركا ضربة قاضية فقد باعوا ما فوقهم وما تحتهم ليعيشوا وابوهم لم يرد لهم عنه خبر منذ اشهر

— ولكن مصيبتهم خفيفة بازاء مصيبة العائلة المعلومه

فعبس الراهب حينئذ عبسة توقع الوجل في قلب ناظره وقال .

— أرأيت الى اي حد اوصلنا السفر للشحاذة في اميركا يا اميل

— ولكن لماذا تذكر السيئة ولا تذكر الحسنة أنسيت يا أبتاه ان ابناء وطننا يعودون من تلك البلاد ممتلئي الجيوب بالاصفر الرنان .

— لم أنس ذلك فاني اذكره كما اني اذكر العادات السيئة التي يعودون بها والاخلاق الجديدة التي يقتبسونها فتجعلهم كالغراب رأى الحجل فاراد ان يمشي مشيه فاخطأ هذا المشي ونسي مشيته . ولو كان كل الذين يهاجرون من اللبنانيين والسوريين ذوي مقدرة على كسب رزقهم بشرف في ارض الغربة وقوة على الجهاد الادبي والمادي في هذه الحياة لما انكرت عليهم تركهم اوطانهم والسفر الى الاقطار البعيدة فان هولاء النشيطين المجتهدين قادرون ان يشرفوا الاسم السوري واللبناني والعثماني حيث حلوا في الشرق او في الغرب في العالم القديم او في العالم الجديد الا انني لا استطيع السكوت عن الاعتراض على سفر تلك الجماهير التي لا قدرة لها على ذل الاغتراب وليس لها ما تعتمد عليه من وسائل الكسب في ارض الغربة فتلجأ الى ما لا يكون فيه لهم ولابناء وطنهم شرف كبير رغبة في الحصول على خبزهم . وتراهم يتسابقون الى تلك البلاد مجذوبين اليها ببريق الذهب من بعيد حاسبين ان الاموال مطروحة على الارض فلا يتكلف الانسان في جمعها الا ان يمد يديه ويجرف منها في سلته او في كيسه كما ظن بعضهم وما هذا القول بحديث خرافة ولكنه امر واقعي . فلو بذل هولاء الضعفاء هنا بعض ما يبذلونه هناك من ضروب الجد والاقتصاد تارة والضعف تارة اخرى اتظنهم لا يكونون احسن حالاً . وبعد فعلام السفر الى ما وراء الاوقيانوس لطلب العمل في اراض زراعية والاجانب وفي مقدمتهم اليهود والالمانيون يهاجرون الى اراضي سوريا وفلسطين والاناضول لاحياء موات الارض وانشاء المحلات التجارية فيها .

ان من يستطيع تشريف الاسم العثماني في الخارج له ان يخرج ويعمل بما في وسعه من الوسائل فانه ينفع نفسه ووطنه معاً اما الذين لا يكونون في الخارج الا حملاً ثقيلاً على دولتهم وعلى ابناء وطنهم

فمن الواجب ان لا يخرجوا من وطنهم وان خرجوا فانهم يؤملون ويتأملون وقلما ينتفعون . فقطع هنا اميل عليه الكلام قائلاً

— ومن اي فريق تحسبنا يا ابتاه

— احسبكم من الفريق الاول وهو الذي يشرف وطنه في البلاد التي يسافر اليها فسافروا ولكن سفر ضيافة لا سفر اقامة . لقد شغلتكما بالحكمة الباردة وهذه عادتي فلا تلوماني وقد كاد ينتصف الليل ولا اظن السفينة الا قد اقبلت لاخذكم فاني ارى في البحر نوراً يقترب

فمد بطرس واميل نظريهما الى البحر فابصرا نوراً بعيداً آخذاً في الاقتراب من ذلك المكان . فالتفتا الى البر طلباً لعلامة بينهما وبين المهربين فابصرا على اكمة قريبة من الشاطيء ناراً تضطرم وكانت هذه العلامة . فقاما مسرعين الى وداع الراهب فبكى وبكيا وتبادلا كلاماً شديد التأثير ثم قبلاه وقبلهما القبلة الاخيرة وهبطا من ذلك الجبل قاصدين الشاطيء على طريق يعلمان انها تختصر مسافة البعد

ولما انقضت على الراهب نحو ساعة على التقريب وهو في مكانه حتى علت ضجة على الشاطيء وارتفع الصراخ . فخاف الراهب ان تكون الجنود قد القت القبض على المسافرين وما كاد يدخل هذا الخوف في قلبه حتى دوت على الشاطي الطلقات النارية يليها نداء الغضب والسخط تجاوبها من البحر طلقات نارية اخرى ولكن بلا صراخ ولا نداء

وكان الجنود هم الذين اطلقوا النار من البر ارهاباً للمهربين والمهربون هم الذين اطلقوا النار من البحر دلالة على استعدادهم وتأهبهم لمقابلة القوة بالقوة . فعلم الراهب ان الموقف حرج على اصحابه فلبث يراقبهم شديد المراقبة فابصر في تلك الليلة الصافية بعد هبوطه بعض الهبوط الى الاسفل زورقين مثقلين بالرجال يلوحان ويختفيان على وجه الماء ولكنهما آخذان بالاقتراب من السفينة بسرعة شديدة . ولم يمر على ذلك بضع دقائق حتى لصق الزورقان بها فلبثا بضع دقائق الى جانبها ثم رجعا عنها ضاربين في عرض البحر الواسع . فادارت السفينة عند ذلك مؤخرها الى البر كانها تهزأ بمن فيه واستقبلت بمقدمها عرض البحر وراحت تشق عبابه في ظلمة الليل المدلهمة

. . . .

. . . .

« هذه السفينة والسارق سواء . اذا فرقت بينهما الشريعة التجارية فلا تفرق بينهما الشريعة الادبية . رجل يتسور بستانك وياخذ من ثمار اشجاره ثم يعود غانماً تسميه سارقاً وسفينة تتسور قانون دولة فتأخذ من رعيتها بالرغم عن رجال الحكم فيها وعن قانونها الا تسمى سارقة . ولكن تلك سرقة في عرف الناس دنيئة وهذه كما يقولون شريفة

« هذه السفينة ونفس الانسان سواء . انها تستسلم الى الامواج والزوابع يديرها سكانها وترشدها ابرتها فاذا فقدتها ضلت في واسع البحار او قذفتها الامواج على الصخور . ونفس الانسان مستسلمة ايضاً الى امواج الحياة وزوابعها بسكان هو العقل وابرة هي الضمير فاذا فقدتهما ضلت ايضاً او تحطمت على صخور الحياة

« هذه السفينة وايام العمر سواء . تجري ولا

تترك وراءها اثراً

«هذه السفينة والنفس الكريمة سواء. تجري ضد الريح كما ان النفس الكريمة تجري ضد مصلحتها خدمة لمصلحة اخرى.

هذا ما كان يقوله الراهب ماداً يده الى السفينة وهي تمخر في عباب البحر سائرة بصاحبيه بطرس واميل ومن معهما من اللبنانيين الى ارض الله الواسعة

. . . .

وبقيت السفينة تجري على سطح البحر المتوسط والشمس في كبد السماء «السفلى» تجري «تحته». ولكن اين مسير هذه من مسير تلك. فان السفينة ما كادت تصل الى مكان مقابل لحيفا في طريقها على خط مستقيم الى مرسيليا حتى كانت الشمس قد قطعت ما قطعت من شاسع المسافات وأرسلت رسل الفجر الى كهف المشرق تنادي باخراج هودج النار لركوب غزالة النهار. وكان الراهب قد خرج لاستقبالها مع من خرج لذلك من مخلوقات العالم بعد ظلام الليل الطويل. فمن اطيار مصطفة على الاغصان تحيي ظهورها باشجى الالحان. ومن ازهار في الروض والحقل تستقبل تيجانها المشرق وتقدم للغزالة ما في كؤوسها من الندى شراباً شهياً. ومن سماء صافية كمرآة الغريبة كأن الملائكة قامت في الصباح كما قال فيكتور هيغو فاحسنت غسلها استعداداً لاستقبال عروس النور

فاخذ الراهب يسرّح الطرف في جمال الطبيعة قبل اشراق شمس النهار ويتأمل معاني جمالها في النور كما تأمله امس في الظلام. وكان الظلام يحجب عنا امس وجهه فلم نستطع رؤيته اما اليوم فقد كشف لنا النور عن رجل طويل القامة دقيق العضل اسمر الوجه مقطب الحاجبين حاد البصر كالنسر منتصب الجسم كالالف على كبر ظاهر في وجهه يكتب على جبهته اربعين عاماً. وكان يلبس ثوب الرهبنة الاسود ورأسه مكشوف لنسمات الصباح تعبث بشعره الطويل المسترسل على كتفيه وقد انقذت فيه جمرة المشيب وهو واقف كالصنم لا يتحرك منه الا قلبه وعيناه مشتبكة ذراعاه على صدره وقدمه على الصخرة التي شهد منها امس سفر بطرس واميل

فلما بدا قرن الغزالة وارسلت على العالم امواج النور انبسطت اسرة الرجل وابتسمت شفتاه فارتقى الصخرة واستقبل المشرق بسكون ورهبة كما يستقبله المجوسي في الصباح ولبث مبهوتاً متاملاً في ذلك المنظر الجميل حتى تكامل اشراق الكوكب فتنفس الصعداء ونظر الى السماء قائلاً — «ما اعظم اعمالك كلها بحكمة صنعت. اذا كان الظلام جميلاً فما اجمل النور. اين فولتير واميل ينظران معي الآن هذا المنظر البهيج»



اسكندر الشاب ملك سربيا

روسيا وسربيا

حدث في سربيا في اوائل هذا الشهر حادث سياسي توجهت اليه ابصار جميع السياسيين في العالم وهو قطع سفير روسيا علائقه مع سربيا على حين بغتة وخروجه من بلغراد بنزق وحدة

والسبب في ذلك ان الحكومة السربية بايعاز من الملك ميلان المستقيل والد الملك اسكندر الموضوع رسمه فوق هذه السطور لم تدع السفير الروسي الى الحفلة الرسمية التي اقامتها في بلغراد تذكاراً لانقضاء ٧٧ سنة على تكوّن سربيا ودعت اليها نواب الدول وسفراءهم فرأى هذا السفير في هذا الامر اهانة له ولدولته فخرج من سربيا بالحال خروج السهم من القوس لا يلوي على شيء ·

وقد علمت الامة السربية ان هذا الجفاء لم يكن موجهاً اليها او الى حكومتها بل الى الملك ميلان نفسه بناء على نكث هذا الملك المستقيل وعداً وعد به روسيا وهو ان لا يعود الى سربيا لان وجوده فيها يكدر صفو الكأس بين امارات البلقان بالنظر لاطماعه ومجافاته لبلغاريا وميله للنمسا· وكانت روسيا قبل سفر هذا السفير قد امرته غير مرة ان يتجاهل وجود الملك ميلان المستقيل فأثر سلوكه على هذا النحو تأثيراً شديداً في الملك ميلان فاخذ يقابل الجفاء بالجفاء · اما ابنه الملك اسكندر ففير راض كل الرضى عن سياسة والده ولكن للابوة حقاً لا ينكر ·

ويروى ان سفير روسيا قبل سفره أتى يوماً وزارة الخارجية بهيئة جدية وطلب مقابلة الوزير ولما دخل عليه سأله قائلا — ايها الوزير انني لا اسمع هنا الا قولهم جلالة الملك ميلان وجلالة الملك اسكندر · فهل ان على عرش السرب ملكين ام ملكاً واحداً · واذا كان عليه ملك واحد فايهما من صاحبينا هو الملك الحقيقي ؟

هذا ولا خلاف في انه لو حدثت حوادث من هذا القبيل بين دولتين متكافئتين في القوة او غير متكافئتين الا بعض التكافؤ لفلت مراجل الحرب بينهما بالحال · ولكن روسيا تعامل سربيا كما يعامل الشاب القوي المفتول الساعد ولداً ضعيفاً وهذا دأب القوي مع الضعيف دائماً